يَوْمُ الحِسَابْ

يوم الحساب: رواية
الكاتب: عمر الألفي
إخراج فني: الباشا عبدالباسط
رقم الإيداع: 28593 / 2019
الترقيم الدولي: 978 - 977 - 844 - 096 - 6

دار الزيات للنشر والتوزيع :**Facebook Page**
E- mail: bentelzayat1@gmail.com
Website: www.bentelzayat.tk

مجلس الإدارة / د. شاهندة الزيات
المدير العام/ أ. محمود محروس إبراهيم
01066736765 - 01011122429

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©
لدار الزيات المشهرة قانونًا بسجلّ تجاريّ رقم / 49351

يوم الحساب

رواية

الكاتب

عمر الألفي

دار الآيات للنشر والتوزيع

إهداء

إهداء إلى أرواح شهدائنا الأبرار من كافة أطياف المجتمع.

إلى كل من سالت دماؤه الذكية من أجل رفعة شأن واستقرار هذا الوطن

إلى كل من سهر ليله دفاعًا عن أرضه وعرضه، ودفعت به الأقدار ليتحمل المسؤولية ويقف كالصرح الشامخ لا يكل ولا يمل.

المؤلف

❋ ❋ ❋

الحياة لعبة لست مخيرًا في الاشتراك بها؛ وإنما تلعبها رغمًا عنك، حتى وإن كنت معترضًا على قوانينها، تبدأ في الوقت الذي يحلو لها، وتنتهي دون أن تخبرك، وقد لا تعطيك سابق إنذار فتتوقف اللعبة ويطلب منك الخروج، بدون أي شيء اكتسبته منها، ولا حتى ملابسك.

قد تعتقد أنك تستطيع الاستمتاع باللعبة، ولكنك سرعان ما تكتشف بأنك الأداة التي يلعب بها، وأقسى ما في تلك اللعبة أنك لا تختار دورك فيها، أو حتى شكلك، وإن حاولت مرارًا وتكرارًا تغيير دورك في اللعبة قد ترغمك الحياة على ذات الدور الذي دخلت اللعبة من أجله، حتى أكون دقيقًا في وصف تلك اللعبة فهي أشبه بالفيلم السينمائي أو المسلسل، يقوم المخرج فيه بتحديد الدور الذي ستقوم

بأدائه كما هو مطلوب منك، وليس كما تريد أنت، إلا أن تنتهي مشاهدك فينتهي دورك وتفسح مكانًا لباقي الممثلين.

ومفتاح الخروج بسلام من هذا المسلسل هو الرضا، فإذا رضيت بالدور المطلوب منك أداؤه تنهي مشاهدك في المسلسل بسلام، وإن لم ترضَ فلا أضمن لك سلامة النهاية.

وفي مسلسلنا هذا قد كتب لصالح ان يتزوج من جميلة طالما كتب له ان يتزوج من جميلة ف المكتوب نافذ.....

وقبل أن ندخل في تفاصيل قصتنا وجب عليَّ أن أخبرك عزيزي بأن هذه القصة من وحي خيال المؤلف، والأحداث الواردة بها غير حقيقية، وأي تشابه بينها وبين الواقع فهو على سبيل المصادفة ليس إلا.

❋ ❋ ❋

يقولون في السلف إن كل شخص له نصيب من اسمه، وهذا القول ينطبق على صالح.

فصالح اسم على مسمى، رجل صالح، يحب الخير للناس، ويعتبر نموذجًا لأي شاب في مقتبل حياته، وحبه للناس وحب الناس له وكيف كانت قصته قصة كفاح شاب اعتمد على ذاته واجتهد إلى أن استطاع أن يصل إلى أعلى الدرجات، وكيف استغل عمله محاسبًا في مجلس المدينة إلى أن يصبح محافظًا في يوم من الأيام..

صالح ولد وحيد في أسرة متوسطة الحال تعيش في أحد الأحياء الشعبية من محافظة القاهرة.

عندما كان صالح صغيرًا في سن الشباب وأثناء سيره في أحد الشوارع المجاورة لمنزله شاهد صالح ثلاثة شباب يقومون بمضايقة فتاة، على الرغم من جسده النحيل بعض الشيء إلا أنه لم يتردد بمساعدة الفتاة ووجهه كلامه للثلاثة شباب قائلًا (عيب كدا يا رجالة، ترضي حد يعمل كده في اخواتكو البنات) فرد أحد الشباب قائلًا (وانت مال أمك؟) وبدؤوا الاشتباك سويًّا، وقام الثلاثة شباب بضرب صالح، وركضت الفتاة تجاه منزلها، ولكن رب ضارة نافعة، ففي اليوم التالي وجد صالح تلك الفتاة في منزلهم بصحبة والدها كنوع من رد الجميل على شهامته معها ودفاعه عنها، وأنه عرض نفسه للخطر من أجل حمايتها.

الفتاة من أسرة ميسورة الحال، حيث قضى والدها قرابة الربع قرن من الزمان في العمل بمهنة المقاولات في إحدى دول الخليج، وانتهى به الأمر بالعودة إلى محافظة القاهرة والعمل بذات المجال.

ويشتهر وسط جيرانه بالسمعة الطيبة ومراعاة الأصول، وهذا ما دفعه للبحث عن الشاب الذي حاول الدفاع عن كريمته.

ويتشابه معه والد صالح في السمعة والأصل الطيب، ولكن قد تكون أسرة الشاب الصالح متوسطة الحال بعض الشيء، فهو نجل لأب معلم في مدرسة ثانوية، وأم تعمل إدارية في إحدى المدارس الابتدائية..

بدأت الأسرتان في التعارف وصارت بينهما علاقة أسرية.

وبدآ يتبادلان الزيارات، وصار بينهما حب وود، وبدأ صالح يتعلق بالفتاة الجميلة التي تدعى جميلة، ولأن صالح تربى على الخير والأصول، يعي تمامًا أن الشكل الصحيح للحب هو الزواج، غير أن جميلة لم تعطِه الفرصة لأي شكل من أشكال العلاقات الأخرى، وإنما أرادت علاقة تنبت في النور ولا تعرف أي نوع من أنواع الظلام.

عرض صالح الأمر على والديه، الأمر الذي قوبل بالاستحسان، وقالت له والدته: أنا مش هالاقي لك عروسة أحسن من دي.

تقدم صالح لخطبة جميلة وكان في هذا الوقت حديث التخرج من كلية التجارة، وكانت جميلة في العام الأخير من كلية الآداب، وكان شرط والد جميلة للزواج أن يجد صالح عملًا يستطيع منه الإنفاق على

ابنته، فمن غير المعقول أن يزوج ابنته لشخص لا يعمل أو لا يستطيع الإنفاق عليها، ولكنه وافق على خطبة ابنته لعلمه تمامًا أنها تميل كل الميل لصالح، على ألا يتم عقد قرانهما إلا بعد أن يجد صالح عملًا...

صالح كان يتمنى الزواج من جميلة في أسرع وقت ممكن، لذلك قام بالتقديم في كل الوظائف المتاحة له، ولكنه فشل في إيجاد وظيفة، وكاد يفقد الأمل إلا أنه وجد إعلانًا عن مسابقة تعيين محاسب في مجلس المدينة، فكان هو الأمل الأخير له.

بالفعل تقدم لتلك المسابقة وحينها ظهر لطف الله الذي ينقذك دائمًا في الأمتار الأخيرة، فلا تقنط أبدًا من رحمته.

وهكذا استوفى صالح شرط والد جميلة، وقام بتجهيز شقة صغيرة، وانتظر حتى انتهت جميلة من دراستها وعقد قرانه عليها فأصبحت جميلة زوجة صالح.

جميلة لم تكن تشبه النساء اللواتي نعرفهن في حياتنا من ذوات الناقصين؛ كانت جميلة في كل شيء، هادئة الحس والطباع، وكان شغلها الشاغل الاهتمام بزوجها والاهتمام بمظهره، فكانت تدفعه إلى الأمام

وتكترث لأدق تفاصيل حياته، وكان بسبب جميلة دائم الظهور بمظهر جميل في العمل.

وكأن المقولة تقول وراء كل رجل عظيم جميلة.

وفي إحدى الليالي البيضاء شاهد المحافظ صالح فقال له:

المحافظ: انت اسمك إيه؟

صالح: صالح يا افندم.

المحافظ: تيجي تشتغل معايا في المكتب؟

صالح: دا شرف ليَّ يا افندم.

المحافظ: انت شكلك محترم وابن ناس ومظهرك كويس.

وقام المحافظ بتعين صالح مديرًا لمكتبه، وكان صالح في قمة السعادة، وبدأ يشعر أنه يتقدم في عمله وجميلة دائمًا تدعمه في ذلك.

❋ ❋ ❋

مر على زواج صالح وجميلة خمس سنوات..

جميلة في قمة السعادة لتقدم زوجها في عمله، لكن بداخلها سؤال، متى أصبح أمًّا؟ ولا تعلم سر تأخير حملها، وتتردد في إخبار زوجها بذلك حتى لا يشعر بأي نوع من أنواع الألم النفسي، وبسبب إلحاح والدتها الشديد عليها قررت أن تناقش صالح في الأمر.

الغريب أن صالح تقبل الأمر بصدر رحب وقال لها (دي حاجة بتاعة ربنا، إحنا نعمل فحوصات إحنا الاتنين ونشوف المشكلة عند مين ونعالجها) وبالفعل قاما بعمل الفحوصات والتحاليل اللازمة، واتضح

أن جميلة تعاني من مشكلة ما، كان حلها الحقن المجهري حتى تستطيع جميلة تحقيق حلمها ورغبتها في الأمومة.

وبالفعل قامت بعمل الحقن المجهري ومنذ أول يوم في حملها قررت والدتها الجلوس معها بالمنزل طيلة فترة الحمل إلى أن تضع مولودها بسلام.

مرت التسعة أشهر على جميلة وكأنهن تسع سنين، ولم تكن ولادة جميلة ولادة عادية ولكنها كانت متعسرة.

ولكن المولى عز وجل أراد أن يكافئها على صبرها خمس سنوات، وكتب لها السلامة وأعطاها طفلين ذكورًا فسموا أحدهما أحمد والآخر محمود.

أحمد ومحمود توأم متشابه في الشكل تمامًا، ولكن منذ يومهما الأول وهما مختلفان في السلوك.

أحمد دائم البكاء ومحمود هادئ معظم الوقت، ومرت الشهور والسنوات على ذات المنوال.

أحمد دائم البكاء والصراخ والصخب، ومحمود دائم الهدوء والسكون.

وعندما أصبح الطفلان أبناء الست سنوات بدأت رحلتهما الدراسية.

أحمد كان متأخرًا دراسيًّا وإمكانيته العقلية تقل بكثير عن أخيه محمود الذي كان متفوقًا دراسيًّا من أول يوم له في الدراسة، وكان المعلمون يشهدون له دائمًا بالذكاء وحسن الخلق.

وعندما كان صالح يذهب للسؤال عنهما بالمدرسة كان الرد الواحد من جميع المعلمين (محمود ما شاء الله هداية الرحمن، إنما أحمد دا شيطان ولعبي ومش عايز يركز في الدراسة).

ومرت الأيام وكبر الطفلان وأصبحا في مرحلة المراهقة، أحمد كان دائم الخروج مع أصدقائه ويعتاد التأخر عن المنزل، ودائم افتعال المشكلات، على النقيض تمامًا محمود الذي كان يهتم بدروسه ويشهد له الجميع بالأدب والأخلاق والاتزان في الشخصية، وكما قُلت برغم اتفاقهما في الشكل ولكن الناس تستطيع تمييزهما عن بعضهما بسهولة من طريقة ملابس كل منهما.

أحمد معتاد ارتداء الملابس التي تشبه الغرب ولا تليق بمجتمعنا، على العكس من توأمه الذي كان يميل إلى ارتداء الملابس الكلاسيكية التي تعطي مظهرًا وقورًا، وكان دائمًا يقوم بتوجيه النقد لأخيه على طريقة ملابسه وعلى تصرفاته المتهورة التي تتخطى مرحلة الحماقة، ولأن محمود لا يستطيع أن يجد أخاه في مشكلة ويتركه فكان دائمًا يتدخل لحل مشكلات أخيه، الأمر الذي يجعله يتورط في مشكلته، وكان محمود يقول لأخيه عقب كل مشكلة (دي آخر مرة أتدخل لك في موضوع) ورغم كل هذا لم يتركه مرة واحدة في أي مشكلة له، وكان يخفي عن والدهما تلك المشكلات قدر المستطاع، على الرغم من أن أحمد ومحمود مختلفان في كل شيء؛ لكن كانا شديدي التعلق ببعضهما البعض، فكانت تربطهما علاقة قوية جدًّا، وكان الشيء الوحيد الذي اتفقا عليه هو الحلم.

كلاهما كان يحلم بالالتحاق بكلية الشرطة ليصبح ضابطًا، وقد يكون الدافع نحو الحلم مختلفًا ولكنهما اتفقا على ذات الحلم.

ولأن شخصية محمود كانت أكثر اتزانًا، فكان يهتم بدراسته، حيث إن لم يستطع تحقيق حلمه يجد لنفسه مكانًا آخر في مجال آخر.

على النقيض من أحمد الذي علق كل آماله أن يصبح ضابط شرطة.

وعندما أصبح التوأمان في المرحلة الثانوية أحمد أهمل دروسه كالعادة، ومحمود كعادته مهتم بدراسته، وعندما كان صالح أو جميلة يقول له (ذاكر يا أحمد) كان يرد قائلًا (أذاكر ليه؟ أنا محتاج ستين في الميه علشان أبقى ظابط شرطة).

مرت الأيام وانتهت المرحلة الثانوية والأسرة الصغيرة بصدد انتظار نتيجة التوأمين وكانت مفاجأة سارة.

فكان النجاح حليفهما، حصل أحمد على مجموع 75٪ ومحمود 91٪.

وفرح صالح وجميلة بمجموع الولدين، وكانت فرحتهما الكبيرة بابنهما أحمد، لأنهما لم يكونا متأكدين من مسألة نجاحه.

عقب المرحلة الثانوية سرعان ما تهيأ الولدان وتقدما إلى اختبارات كلية الشرطة، ولكن حدث ما لا يحمد عقباه، فقد تخطى محمود الكشف الطبي وسقط أحمد فيه، ويومها عاد أحمد إلى المنزل وتوجه لوالده وصرخ في وجهه قائلًا (إزاي أسقط في الكشف الطبي وانت موجود؟ انت ما لكش لازمة ولا إيه؟! أنا لازم أبقى ظابط، انت فاهم ولَّا لأ؟) حاول

صالح التدخل في الأمر وكان منصبه في ذات الوقت نائبًا للمحافظ في إحدى المحافظات، فقام بالاتصال بأحد لواءات الشرطة من أصداقائه المقربين، فكان رد اللواء عليه (بصراحة يا صالح أنا ممكن أساعدك في كشف الهيئة إنما في الكشف الطبي مستحيل، وبعدين انت مش عندك ولد ماشي كويس في الاختبارات؟ مش لازم الاتنين يبقوا ظباط يعني يا عم صالح).

وتم رفض أحمد من الاختبارات واستكمل محمود أخوه الاختبارات، ودخل أحمد في حالة حزن شديدة بسبب ضياع حلم حياته، وظل ماكثًا في غرفته لا يريد الخروج منها أو التحدث مع أحد، وذات ليلة دخل محمود إلى غرفة أخيه.

محمود: إيه يا ابني انت، انت قالبها دراما ليه كدا؟

أحمد: ما انت مش حاسس بيَّ علشان انت مكمل في الاختبارات وانا طلع عندي تقوس. مش فاهم إيه التقوس دا!

محمود: يا عم دا نصيب. هو انت نصيبك كدا.

أحمد: اشمعنى أنا نصيبي كدا وانت نصيبك كدا؟!

محمود: والله يا عم لو ينفع أخليك تكمل الاختبارات مكاني كنت عملت كدا، وبعدين انت إيش عرفك إني هانجح؟ مش يمكن أسقط أنا كمان يا اخويا واقعد جنبك.

أحمد: يا عم بعد الشر، إن شاء الله تنجح، أهو نص العمى ولا العمى كله..

وظل أحمد في تلك الحالة فقرر صالح إنقاذ ولده أحمد من حالة الاكتئاب والحزن بأن يلحقه بالأكاديمية البحرية، فهو يعلم أن رغبة نجله في الالتحاق بكلية الشرطة من أجل ارتداء الملابس الأميرية فقط ليس إلا، وأنه ليس صاحب هدف أو رسالة مثل أخيه محمود، فرأى أن الحل أن يدخله تلك الأكاديمية البحرية، التي يرتدون فيها ملابس تشبه الملابس الأميرية الخاصة بالكليات العسكرية.

وقام بشراء سيارة له واستئجار شقة بمحافظة الإسكندرية حتى يقيم فيها فترة دراسته في الأكاديمية البحرية.

وظهرت نتيجة كلية الشرطة بنجاح محمود والتحاقه بكلية الشرطة وكان في قمة سعادته، وأول من قام بالاتصال به لإبلاغه الخبر السعيد هي حبيبته حبيبة.

محمود: حبيبة باركي لي أنا نجحت.

حبيبة: الله بجد يا محمود، ألف مبروك يا حبيبي.

محمود: الله يبارك فيكِ، قولي بقى عايزة أجيب لك إيه بالمناسبة دي؟

حبيبة: لا أنا عايزاك تخلص الأربع سنين دول بسرعة بقى علشان نتجوز.

محمود: أنا لو عليَّ نفسي نتجوز دلوقت، بس للأسف ممنوع أتجوز وانا لسَّا في الكلية.

حبيبة: مش مهم يا حبيبي إن شاء الله يفوتوا بسرعة.

محمود: إن شاء الله.

وفي موعد الدخول إلى كلية الشرطة قام محمود بتوديع والده ووالدته وحبيبته حبيبة وقام بالتحدث إلى أخيه أحمد.

محمود: أشوف وشك بخير يا أحمد.

أحمد: شد حيلك يا برنس.

محمود: أحمد ما تقلقنيش عليك بالله عليك، وسيبك من حركات العيال اللي بتعملها دي، وانتبه لكليتك وخليك راجل.

أحمد: يا عم سلمها لله.

محمود: والله يا احمد أنا نفسي ما اسيبكش انت بالذات.

ودخل محمود إلى مبنى كلية الشرطة واختفى عن الأنظار وقام المودعون بحمل دموعهم وانصرفوا.

وبدأ أحمد دراسته كضابط بحري في الأكاديمية البحرية، ومحمود كطالب بكلية الشرطة.

أحمد يريد أن يثبت لنفسه أنه يعيش حياة أفضل من الحياة العسكرية، وأنه يعيش حياة الحرية والحياة المدنية، فكان يبالغ في استخدام الحرية أو إنه كان يترك المعنى الحقيقي للحرية، فالحرية كانت بالنسبة له ارتكاب ما يحلو له من الأخطاء دون أن يلقى حسابًا، أو التصرف كيفما يشاء في غياب الرقيب.

وجود أحمد بمفرده في سن المراهقة بدون أي من أبويه وفي مدينة كبيرة كمدينة الإسكندرية كان يشبه تقريب مصدر لهب إلى الغاز، فكان يفعل ما يفعل وتنجده العناية الإلهية تارة، وصغر سنه تارة أخرى.

عندما كان يمر أحمد من الأكمنة والتمركزات، كان يتعمد رفع صوت الأغاني كنوع من الاستهتار أو عدم الاستعناء أو أنه حر فيستطيع التصرف كما يحلو له وليس من حق أي جهة محاسبته.

ولكن الضباط يرون أنه شاب في مرحلة المراهقة فلا يعيرونه الاهتمام، وفي ليلة رأس السنة لعام 2007 كان أحمد في سهرة بصحبة زملائه في مدينة الإسكندرية، وكانت تلك السهرة مليئة بالخمور والمخدرات، وبعد أن انقضت أخذ أحمد يقود سيارته إلى منزله مخمورًا ومر على أحد أكمنة الشرطة، كعادته قام برفع صوت الأغاني ومر ولم يلتفت أحد إليه.

وهنا جن جنونه، فقام بالعودة إلى ذات الطريق مرة أخرى ومر من نفس الكمين وقام بعمل إشارات خادشة للحياء ببيده للأفراد المتواجدين بالكمين، وقام بالمرور ولم يعترضه أحد كنوع من أنواع ضبط النفس أو مرعاة صغر السن، ولكنه قام بالالتفاف والعودة مرة أخرى وقام بالإشارة لهم بذات الإشاراة، هنا قام الضابط بإيقافه وطلب منه النزول من السيارة فنزل أحمد من السيارة.

وسأله الضابط: انت اسمك إيه؟

أحمد: أحمد صالح.

الضابط: بص يا ابو حميد، اللي انت بتعمله دا ما بيقللش من حد غيرك انت، لأن اللي بتعمله دا بيدل على إنك ما اتربيتش وانت سكران ومش قادر تقف على حيلك، وانت لسَّا عيل عندك 18 سنة، أمال لما تكبر شوية هتعمل فينا إيه؟ أنا ممكن أحبسك دلوقتي بس أنا صعبان عليَّ أهلك اللي ملبسينك كويس وجايبين لك عربية وعايزينك تبقى بني آدم وحاطين عليك أمل كبير، روح، روح يا أحمد حاول تقرب من ربنا أكتر من كدا شوية.

انصرف أحمد من الكمين ولم يأخذ بكلام الضابط عين الاعتبار لأنه لم يكن في وعيه، وما بينه وبين ضابط الشرطة حاجز نفسي، لمجرد عدم توفيقه في الالتحاق بكلية الشرطة مثل أخيه التوأم.

أحمد في ذلك الوقت لم يكترث بأي شيء سوى إنفاق الأموال على صديقاته وكان يجد في نفسه موهبة في سرعة التعرف على الفتيات، معتمدًا على حسن مظهره.

تعرف أحمد على ابنة أحد رجال الأعمال وتدعى سمر، وصارت بينهما علاقة صداقة، توطدت وتطورت تلك العلاقة بسبب تربية سمر المتحررة وعدم وجود قيود في المنزل لديها، وأصبحا يلتزمان الخروج سويًّا والسهر سويًّا.

إلى أن تعلقت سمر بأحمد، وحقيقة لا أعلم إذا كان أحمد بادلها ذات الشعور أم لا، ولو أنني أرجح الخيار الثاني لأنه كان قاسي القلب بعض الشيء منذ نعومة أظافره؛ فهو معتاد أن يكسر لعبته بعد أن يملها، فلم يكن يحافظ أو يحتفظ بأي شيء، ولكن اعتاد التخلص من متعلقاته بعد أن يتخلله شعور الملل منها، وعلى الرغم من ذلك فهو كان يظهر حبه الشديد لتلك الفتاة؛ لأنها كانت حسنة الشكل والمظهر.

وذات ليلة حالكة وأثناء عودتهما من إحدى السهرات وتحت تأثير السكر أخذ سمر إلى شقته التي يقيم بها بمفرده، وحدث ما لا يحمد عقباه، وفقدت سمر أعز أو كل ما تملك.

استيقظت سمر وحين شعرت بالكارثة أخذت تبكي وتصرخ قائلة (الله يخرب بيتك، أعمل إيه دلوقتي؟ أهلي لو عرفوا هيقتلوني ويقتلوك انت لازم تتصرف).

أحمد: ما تقلقيش أنا باحبك وهاتجوزك وعمري ما هاتخلى عنك، أنا هاكلم أهلي وآجي أتقدم لك.

هدأ من روعها بعض الشيء وقامت بارتداء ملابسها وانصرفت إلى منزلها.

جلس أحمد يفكر في حل لتلك الكارثة وقال لنفسه (أنا أكيد مش هاتجوز واحدة زي دي، وبعد مرور ثلاثة أيام قام أحمد بالاتصال بسمر ودارت بينهما تلك المكالمة.

أحمد: خلاص يا سمر فرجت.

سمر: إيه عملت إيه؟

أحمد: أنا كلمت أبويا وهو موافق إني آجي أتقدم لك.

سمر: صحيح يا احمد، أنا باحبك قوي، ربنا يخليك ليَّ، أنا كنت عارفة إنك راجل وعمرك ما هتسيبني.

أحمد: أسيبك إيه يا عبيطة؟! بس احنا لازم نحتفل بقى النهاردا باليوم دا.

سمر: نحتفل طبعًا.

أحمد: خلاص هاعدي عليكِ وننزل نحتفل بقى.

وقام بارتداء ملابسة سريعًا وذهب إلى مقابلتها، وعندما قابلها قال لها (إحنا نروح شقتنا نحتفل بقى).

فكان ردها (لا انت مش هتلمسني تاني غير لما نتجوز) وبعد نقاشات كثيرة ومحاولات، انتهى بهما الأمر إلى الذهاب لشقة أحمد، وتكرر ما فعلاه أول مرة، ولكن الاختلاف في هذه المرة أنها كانت مصورة.

وهمس أحمد في أذن سمر قائلًا (تعرفي يا سمورة إن اللي حصل دا اتصور؟).

سمر: مش فاهمة؟!

أحمد: يعني اللي حصل بينْنَا دا أنا صورته، لو حابة نذيع قولي ذيع.

سمر: انت بتهزر صح؟!

أحمد: لا أنا باتكلم بجد، ولو فتحتِ بُقك لحد أنا هانزل الفيديو دا على النت وأخلي سيرتك انتِ وأبوكِ على كل لسان.

دخلت سمر في حالة من الذهول والصدمة وقامت بارتداء ملابسها وهي منهارة من البكاء، وقبل خروجها من الشقة قالت له (يا ابن الكلب، ربنا ينتقم منك) وغادرت.

شعر أحمد بلذة النصر، وأخيرًا وجد حلًّا لمشكلته وانتهى الكابوس الذي ظل يؤرقه طيلة الثلاثة أيام السابقة، وقام بسد كل الطرق التي يمكن أن توصلها إليه، وبدأ يتعرف على غيرها من الفتيات والعودة لحياة السهر، إلى أن دار بينه وبين أحد أصدقائه حوار عن علاقته بالفتيات وقال له (انت بتتعب نفسك ليه مع البنات وتمثل عليهم الحب وتقعد تتعرف عليها لحد ما تسيب لك نفسها، ويا عالم هتسيب لك نفسها ولا لأ، وبعد وقت قد إيه، وبعد ما تصرف كام، ليه تعمل كدا مع إنك ممكن كل يوم تكون مع واحدة؟!) وبدأ يقوم بأقناعه بفكرة فتيات الليل قائلًا (النسوان اللي بنشقطها دي يا صاحبي عارفة انت عايز منها إيه، وانت عارف هي عايزة منك إيه، وبيفضلوا ساعة ولا اتنين مع بعض وكل واحد ياخد اللي هو عايزه، وخالتي وخالتك واتفرقوا الخالات) واقتنع أحمد بالفكرة.

وبدأ الذهاب إلى أماكن تواجد فتيات الليل، واعتاد على هذا الحال، وفي يوم من الأيام شاهد أحمد إحدى الفتيات في هذا المكان لا تشبه فتيات الليل، فقال في نفسه (البت دي بتعمل إيه هنا؟! استحالة تكون زيهم).

فقرر الذهاب إليها وطلب منها الذهاب معه إلى الشقة، فوجئ أنها وافقت، وبدأ أحمد بالحديث معها.

أحمد: انتِ اسمك إيه؟

الفتاة: مونيكا.

أحمد: لا الحقيقي، اللي في البطاقة.

الفتاة: انت هتحقق معايا يا عم؟ خلاص، عندك شقة ولا هنقضيها في العربية زي العيال.

أحمد: لا لا الشقة موجودة ما تقلقيش.

وتوجها إلى شقة أحمد وقضى معها اليوم وأعطاها المبلغ المتفق عليه وهمت بالانصراف فقال لها (هاشوفك تاني؟).

الفتاة: انت ورزقك، تعالى نفس المكان لو لقيتني هاطلع معاك ما لقيتنيش يبقى أنا في أوردر تاني.

وانصرفت.

علقت تلك الفتاة في ذهن أحمد لدرجة أنه كان يبحث عنها كل يوم، وعندما لا يجدها ينصرف من المكان، إلى أن شاهدها في يوم من الأيام على وشك ركوب سيارة مع شخص ما.

همَّ ناحيتها وهمس في أذنها (هاديكِ قد اللي هيدهولك مرتين).

فتظاهرت بأنها فوجئت به قائلة (والله يا أحمد دا زميلي، ما فيش بيني وبينه حاجة).

فقام هذا الشخص بالانصراف بالسيارة وتركهما، وأخذ أحمد الفتاة في سيارته وتوجه إلى شقته فقالت له:

الفتاة: انت إيه حكايتك يا عم انت؟

أحمد: مش عارف، مع إني شُفت بتشتغلي إيه بس حاسك مختلفة عن باقي النسوان الشمال، حاسك بنت ناس كدا مش زيهم.

الفتاة: انت حبيتني ولا إيه؟

وبعد أن قضيا الليلة..

الفتاة: جهز لي يا اخويا ألفين جنية علشان الزبون اللي كنت طالعة معاه كان هيديني ألف جنيه، وانت عملت فيها عنتر فجلة وقُلت لي هاديكِ قده مرتين.

أحمد: نعم يا اختي؟! ألفين إيه؟

الفتاة: زي ما سمعت، هادخل آخد شاور تكون اتشقلبت وجهزت الفلوس.

حينها شعر أحمد باستغلال الفتاة له، وقرر فعل فكرة شيطانية، وهي أن يقوم بسرقة النقود الموجودة في حقيبتها ودفع المبلغ المطلوب منها، وبالفعل انقض على حقيبتها وقام بالبحث عن نقود فيها فلم يجد أي مبالغ مالية، ولكن كانت المفاجأة أنه وجد الفتاة طالبة في كلية الإعلام، وأن الصورة الموجودة على بطاقة الكلية بالحجاب، وزاد فوق فضوله فضول لمعرفة قصة تلك الفتاة، وبعدما خرجت من الحمام وجدته جالسًا على السرير وكأن فوق رأسه الطير فقالت له (إيه يا اخويا معاكش فلوس ولا إيه؟).

أحمد بتلقائية (فلوس إيه بس يا منى؟!).

الفتاة: منى!! انت عرفت الاسم دا ازاي؟ انت فتشت في شنطتي؟!

أحمد: إيه اللي يخلي واحدة زيك حلوة وفي جامعة خاصة ومحجبة في الكارنيه والبطاقة تعمل اللي بتعمليه دا.

الفتاة: انت مال أهلك؟! اوعى تكون يا اخويا فاكر إننا قرايب ولا انت من بقية أهلي، انت مجرد زبون زيك زي غيرك، اديني فلوسي علشان أمشي.

أحمد: أنا مش هاديكِ حاجة غير لما اعرف قصتك إيه؟

الفتاة: أنا عارفة إنها ليلة سودا من أولها، قسمًا بالله لو ما اديتني الفلوس لاصوت والم عليك أمة لا إله إلا الله واعمل لك فضيحة.

أحمد: صوتي، ما حدش يعرفني هنا.

الفتاة: انت عايز مني إيه يا عم انت؟

أحمد: تقولي لي بتعملي كدا ليه.

الفتاة: وهتديني فلوسي؟!

أحمد: وبزيادة.

الفتاة: عادي ما فيش، وثقت في بني آدم قذر ووعدني بالجواز وسبت له نفسي وبعدها ركب جناحاته وطار، ومن ساعتها وانا مش فارق معايا أي حاجة وأي حد، بالعكس انت وغيرك أحسن منه، على الأقل باكسب من وراكو فلوس، إنما هوَّ عمل اللي عمله ببلاش تحت اسم الحب.

أحمد: طيب وأهلك؟!

الفتاة: لا أنا قدام أهلي قطة مغمضة، أهلي ما يعرفوش حاجة عن الكلام دا.

أنا ما حدش يعرف عني حاجة هنا، أنا واخدة شقة أنا وبنات زمايلي علشان الدراسة، وكل يوم كل واحدة بتخرج تعمل اللي هيَّ عايزاه، هات بقى الفلوس أركب تاكسي علشان معاييش فلوس خالص، بس وحياتك عندي ما هتلمسني تاني غير لما تدفع الألفين جنيه اللي عليك يا حلو.

وتركته ومضت....

وبعدها همس صوت في أذن أحمد، ما هي نهاية ما يفعله؟ وما الاستفادة من تلك الحياة التي يعيشها؟ اعتقد أن هذا الصوت كان صوت الخير الذي يكاد أن يندثر بداخله، صوت الحق يستغيث من هول أفعاله وظلمه لنفسه ولمن حوله.

حينها قرر أن يأخد هدنة من تلك الحياة الماجنة التي يعيشها، وأن يترك السكر والسهر والنساء، وأن يهتم بدراسته، واستمر على هذا الانضباط قرابة الأسبوع، وفي ذات ليلة وهو جالس بشقته يشاهد التلفاز سمع صوت أذان العشاء، حينها فكر أن يذهب للصلاة، تلك كانت المرة الأولى التي يفكر فيها بالصلاة، مع أن عمره قارب العشرين

عامًا، ولكنه لم يسبق له الصلاة، ولكنه يعلم كيف يؤدي الصلاة بسبب رؤيته لوالديه أثناء صلاتهما، والغريب في الأمر أن رجلًا صالحًا مثل والده، وامرأة صالحة مثل والدته لم يأمراه بالصلاة، ولم يطلبا منه أن يصلي طيلة حياته؛ إنما تركوه لأهوائه فاتبع هواه.

على كل حال نزل أحمد من شقته في اتجاه المسجد، ودخل وتوضأ وصلى صلاة العشاء مع الجماعة، وبعد أن انتهت الصلاة أحس بسكينة وراحة نفسية غريبة، وكأن هموم الدنيا نزلت من على قلبه، وقال لنفسه (أخيرًا وجدت الطريق الصحيح، ولكن من أين أبدأ؟ فقرر أن يذهب إلى إمام الجامع).

أحمد: السلام عليكم يا شيخ.

الشيخ: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

أحمد: أنا بني آدم قذر يا شيخ، بص أنا مش بني آدم أصلًا.

الشيخ: ليه يا ابني بتقول كدا؟! استهدى بالله بس.

أحمد: أنا ما فيش حاجة حرام ما عملتهاش، أنا ما باعملش غير الحرام تقريبًا، أنا عايش هنا لوحدي وما فكرتش أعمل حسنة واحدة في حياتي، هو أنا اللي زيي عايش ليه يا شيخ؟!

الشيخ: استغفر ربنا يا ابني ما تقولش كدا.

أحمد: أنا نفسي أبقى كويس، أنا نفسي أكون إنسان محترم، بس مش عارف أبدأ منين.

الشيخ: ما دام جيت هنا ومن جواك عايز تتوب وتتغير يبقى اللي جواك لسَّا بخير يا ابني، ربنا اسمه الغفور الرحيم، بيغفر الذنوب مهما كثرت، انت اللي عامل فيك كدا إنك ماشي ورا هواك وبتتبع شهواتك، واللي بيتبع شهواته بيضل، ما تخليش يا ابني ربنا سبحانه وتعالى أهون الناظرين ليك، انت قاعد هنا لوحدك وأهلك مش شايفينك؛ بس ربنا اللي خلقك واللي خلقني وخلق أهلك شايفك، وهو اللي هيحاسبك ويحاسبهم، وخلي بالك زي ما ربنا غفور رحيم فهو شديد العقاب، يعني لو ما رجعتش عن اللي انت فيه صدقني يا ابني آخرتك هتكون وحشة، وافتكر ربنا شايفك في كل مكان، وربنا قال (**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا**).

تذكر أحمد كلام ضابط الكمين وأن كلام الشيخ مشابه لكلام ضابط الكمين فسكت برهة ثم قال للشيخ.

أحمد: طيب أبدأ ازاي؟

الشيخ: حاول تبتعد عن أي حاجة تجرك للحرام، أو حد من أصدقاء السوء ممكن يخليك تعمل حاجة غلط، وخلي ربنا دايمًا في قلبك، وأول ما تسمع الأذان ونداء ربنا ليك لبي النداء، انت جواك لسَّا بخير، ما تخليش شيطانك يتمكن منك ويسحبك لأبعد من كدا، ابدأ اتغير وكل ما تضعف توب تاني، وكل مرة هترجع فيها لربنا ربنا هيتقبل توبتك.

خرج أحمد من المسجد وقرر أن يغير مجرى حياته وأن يستمع لكلام الشيخ، وأثناء قيادته لسيارته للعودة إلى شقته، وأثناء وقوفه في إحدى إشارات المرور شاهد إحدى فتيات الليل، فتظاهر بعدم رؤيته لها، وقام بالنظر في الجهة الأخرى، ولكن الفتاة حين شاهدته اتجهت إليه وقامت بفتح باب السيارة وقالت له (مش يلا بينا يا مودي؟).

أحمد: يلا يا وحش... سامحني يا عم الشيخ هاتغير من بكرة بقى.

وعاد أحمد إلى ذات الطريق مرة أخرى، وفي ليلة من الليالي تذكر أحمد فتاة الليل التي تدعى منى، فقرر البحث عنها، وعندما بدأ البحث عنها

في أماكن ترددها دون جدوى قرر أن يذهب إلى كليتها للسؤال عنها، وهناك أخبروه أنها انتقلت إلى القاهرة، فقرر أن يخرجها من حساباته، وفي عام 2010 تخرج أحمد من الأكاديمية البحرية، ولكن هذا الخبر لم يكن بالهام نظير تخرج أخيه محمود من كلية الشرطة والتحاقه بالأمن المركزي قطاع قنا، بينما يعمل أحمد بإحدى شركات الملاحة بالإسكندرية.

بالرغم من الفرحة العارمة التي كانت بداخل الضابط محمود إلا أن التحاقه بقطاع قنا يعمل كعائق يحول بينه وبين الزواج من حبيبته حبيبة؛ وذلك لأنه سيقضي أغلب أيام الشهر في مدينة قنا، وحبيبته حبيبة لا تستطيع السفر معه؛ وذلك لارتباطها بمراعاة والدتها المريضة، حيث إنها بنت وحيدة لأب توفاه الله وأم مريضة تجلس إلى جوارها من أجل مراعاة حالتها الصحية.

وعندما قامت حبيبة بالاتصال به لتهنئته قام بالرد عليها.

محمود: إيه دا، انتِ بتتصلي تباركي كدا بالتليفون وخلاص! فين الهدية بتاعتي؟!

حبيبة: أحلى هدية لأحلى ظابط في الدنيا.

محمود: البسي هاعدي عليكِ نخرج شوية علشان عايزك في موضوع.

حبيبة: خير يا حبيبي؟

محمود: خير إن شاء الله.

وقام محمود بارتداء ملابسه وتوجه لمقابلة حبيبته حبيبة.

وعندما وصل إليها استقلا سيارته إلى أحد المقاهي الشهيرة، وجلسا يتحدثان سويًّا.

حبيبة: أنا مش مصدقة يا محمود إنك خلاص اتخرجت وهنتجوز.

محمود: ما هو دا اللي كنت باقول لك عايزك علشانه.

حبيبة: إيه يا محمود في إيه؟

محمود: بصي أنا رحت قطاع قنا بتاع الأمن المركزي.

حبيبة: إيه دا؟! انت مش قُلت لي إنك كاتب القاهرة.

محمود: ما اعرفش إيه اللي حصل، بس الظاهر ترتيبي ما جابش القطاعات اللي هنا.

حبيبة: يلا الحمد لله، ما علش حصل خير.

محمود: طيب وهنعمل إيه؟

حبيبة: انت عارف يا محمود إني ما اقدرش أسيب ماما، إحنا ممكن نتجوز وانت تسافر شغلك وتبقى تيجي أجازات عادي.

محمود: دا الحل الوحيد، واهو على الأقل الأيام اللي هاسافر فيها تبقي قاعدة فيها مع مامتك تراعيها.

حبيبة: طيب ما هي محلولة أهي أمال خضيتني ليه يا عم الظابط انت؟!

وجلسا قرابة الثلاث ساعات في المقهى، وأرادت حبيبة الذهاب إلى المنزل فقالت لمحمود:

حبيبة: ياه يا محمود! أنا اتأخرت قوي، روحني بقى.

وقام محمود بتوصيلها إلى باب منزلها، وقبل نزولها من السيارة نظر إليها محمود وقال لها:

محمود: أنا عايزك تجمدي كدا، عايز أحس إن ورايا رجالة.

حبيبة: ما تقلقش، وراك رجالة جامدين قوي.

محمود: هو انتِ ممكن تتجوزي حد غيري؟

حبيبة: إيه يا محمود الكلام دا؟!

محمود ضاحكًا: أصل أنا حاسس إننا مش هنتجوز خالص ما اعرفش ليه.

حبيبة: إيه اللي انت بتقوله دا؟! بعد الشر.

محمود: باهزر معاكِ.

حبيبة: لا ما تهزرش، يلا تصبح على خير.

وقامت بالنزول من السيارة غاضبة، وقام محمود بالعودة إلى المنزل، وفي طريق عودته أخذ يلوم نفسه (إيه اللي انا قلته دا؟! البت كدا ممكن تفكرني باخلع منها) ووصل إلى منزله واتجه إلى غرفته وعزم أن يقوم بالاتصال بها هاتفيًّا لتصحيح الأمور، ولكنه نظر في ساعة هاتفه فوجد الوقت قد تأخر، وأنه من المفترض أن يسافر إلى مدينة قنا في الصباح الباكر، فقرر أن يؤجل حديثه معها ويخلد إلى النوم ليستعد إلى رحلته الشاقة إلى صعيد مصر.

وفي الصباح الباكر استيقظ الضابط محمود فوجد عدة اتصالات هاتفية من حبيبة، فقرر الاتصال بها عقب استقلاله القطار المتجه إلى قنا،

وبالفعل تحركت عجلات قطاره نحو وجهته المقصودة، وقام بإخراج هاتفه وبدأ التحدث مع حبيبة.

محمود: ألو.

حبيبة: على فكرة أنا كنت باتصل بيك علشان أقول لك إني هافضل قاعدة على قلبك وهنتجوز غصب عنك.

محمود: قولي يا رب بس، على فكرة أنا كنت هاكلمك علشان أقول لك ما تزعليش مني، أنا فعلًا كنت غبي جدًّا في كلامي امبارح، أنا ما اعرفش إيه اللي خلاني أقول لك كدا. وأخذا يتحدثان بضع ساعات ما بين الجد والهزل والحب والواقع، فقد يكون الواقع أحيانًا هو نقيض الحب؛ ففي بعض القصص يعيش الحب معلقًا ما بين الأحلام والأوهام.

وقبيل وصول القطار إلى مقصده أعد محمود حقائبه استعدادًا للوصول، أو استعدادًا للرحيل عن القطار، فهو يعلم النقطة أو التوقيت الذي يغادر فيه القطار، ولكن ما أقساها تلك القطارات التي لا نعلم إلى أين تذهب بنا ومتى تتوقف بنا وما هي محطتنا الأخيرة!!

وصل محمود إلى قطاع قنا وقام بمقابلة قائد القطاع الذي استقبله بحفاوة كفرد جديد في أسرتهم، وبدأ محمود ينخرط سريعًا وسط هذه الأسرة، بما وهب من صفات تجعل لديه قبولًا في عين كل من يراه.

وبعد مرور أشهر قليلة من تخرج الولدين، وفي 28 يناير 2011، وهذا اليوم المسمى بجمعة الغضب، كانت هناك مظاهرات بشارع البحر بمدينة الإسكندرية، وكانت أعداد تلك المظاهرة كبيرة جدًّا، وبالطبع كان أحمد من ضمن المشاركين في المظاهرة مثله مثل الكثير من الشباب ممن اختلفت دوافعهم للمشاركة في تلك المظاهرات، وكانت محافظات الوجه القبلي مستقرة بعض الشيء عن محافظات الوجه البحري، فقامت الإسكندرية باستدعاء بعض التشكيلات من محافظات الوجة القبلي للسيطرة على الوضع في المدينة، كان محمود وقتها ضابطًا بالأمن المركزي حديث العهد، مفعمًا بالنشاط والحيوية، ممتلئًا بشعارات العدل والسلام وحفظ الأمن، وتم استدعاؤه ضمن التشكيلات المتجهة إلى مدينة الإسكندرية للسيطرة على الأوضاع، وكان ممتلئًا بالحماس لرغبته في حماية الدولة من الفوضى والحفاظ على السلم العام، وهو الدور المنوط به، ولكنه لم يكن يتخيل لحظة واحدة أنه من الممكن أن

يكون أخوه التوأم أحمد ضمن صفوف هؤلاء المتظاهرين، وفي الجانب الآخر لم يكن يتخيل أحمد أن أخاه أو نصفه الثاني محمود ضمن صفوف الأمن المركزي، لأنه يعلم أن أخاه في الوجه القبلي، ولا يتخيل أنه من الممكن أن يتم استدعاؤه للإسكندرية لفض التظاهر، ولم يستطع أحدهما الاتصال بالآخر نظرًا لانقطاع الاتصالات في ذلك الوقت، بدأ المتظاهرون برشق الأمن المركزي بالحجارة والأسلحة النارية المصنوعة يدويًّا، وأخذ محمود كأس الإطلاق وبدأ يطلق الغاز بكشافه على المتظاهرين، وإنني أفكر هل كان أحمد سيقذف الأمن بالحجارة إذا علم أن أخاه ضمن هذا التشكيل، أو حتى صديقه، وعلى الجانب الآخر هل كان الملازم محمود سيطلق غازًا على المتظاهرين إذا علم أن أخاه توأمه من ضمن صفوف المتظاهرين، حقيقة لا أعلم، ولكن أعتقد أن الوضع سيكون أكثر تعقيدًا، ولكن الشيء الوحيد الذي أستطيع أن أجزم بحقيقته أن كليهما سيكون أكثر رحمة بالآخر.

على كل حال لم يفكر أحد بهذا الأمر، وكانت معركة ملتهبة الوطيس بين المتظاهرين والأمن، وكان محمود بصحبة ثلاثة مجندين، وبسبب كثافة إطلاق الغاز بدأ المتظاهرون في التقهقر للخلف، وبدأ محمود يشعر

بنشوة الانتصار، وبدأ يزيد من طلقات الغاز، وواصل المتظاهرون العودة إلى الخلف، وهو بصدد انتصاره على المتظاهرين وفض المظاهرة ولكن نفدت قنابل الغاز بحوزته، فأمر أحد المجندين بإحضار مزيد من قنابل الغاز إلا أنه سمع صراخ المجند (الحق يا باشا، العربيات سابتنا ومشيت) فنظر محمود خلفه فوجد انسحاب سيارات الشرطة من المظاهرة، ووجد نفسه وثلاثة مجندين أمام الآلف من المتظاهرين، وعندما شاهد المتظاهرين الغاز توقف بدؤوا في التقدم ناحيتهم، وشجعهم في ذلك انسحاب سيارات الشرطة، فقام محمود بإلقاء كأس الإطلاق الذي كان بيده في الماء وقال للمجندين الثلاثة (اتشاهدوا يا رجالة، إحنا هنموت).

بدأ شريط حياته يمر أمام عينيه، أيام طفولته ومدرسته ولعبه مع أصدقائه، أخوه، أمه، أبوه وحبيبته، كل هذه المشاهد مرت في لحظة من الزمن ولكن بتفصيل شديد، إلى أن وجد نفسه وسط المتظاهرين ما بين الضرب والجرح والطعن، إلى أن قام اثنين من المتظاهرين بجذبه من ذراعيه كل ذراع في اتجاه معاكس، وقام ثالث بفصل ذراعيه عن كتفه

بضربة عصا غليظة على كتفه وأخرى على رأسه أفقدته الوعي، وجعلت المتظاهرين يعتقدون وفاته، وقاموا بدهسه بالأحذية، وواصلوا السير للأمام في التظاهر، بعد فترة من الوقت بدأ محمود يعود إلى وعيه، وما إن شاهده أحد الأشخاص حتى قام بالركض نحوه (انت لسَّا عايش؟!).

فقام بحمله إلى سيارته الخاصة إلى مستشفى كان قريبًا من مكان سقوطه وقال له (ما تخافش أنا دكتور).

وبدأ بتطبيبه وربط كتفه المفصولة ومحاولة علاج الإصابات التي لحقت به وبالمجندين الذين كانوا برفقته، إلى أن سمع صوتًا يصرخ (الحقوا المتظاهرين داخلين على المستشفى).

اعتقد محمود وقتها أنهم قادمون للبحث عنه وقتله، ونادى على مجنديه قال (يلا بينا يا رجالة نمشي من هنا بسرعة علشان جايين علينا) إلا أنه فوجئ بدخولهم المشفى بالفعل، فقام بالصعود إلى أعلى على درجات المشفى إلى أن وصل إلى السطح، فوجد مسجدًا صغيرًا فنظر إلى المجندين وقال لهم (تعالوا نستخبى في الجامع، على الأقل لو قتلونا نبقى في بيت ربنا) ولكن الضابط الصغير لم يكن يعلم أنه المستهدف، ولكنهم

قصدوا سرقة محتويات المستشفى، وبالفعل دخلوا إلى المشفى وبدؤوا بنهب طابق تلو الآخر، وقاموا بتحميل أجهزة المستشفى بالكامل إلى أن وصلوا إلى سطح المشفى، وأحس الضابط وجنوده بأن النهاية اقتربت، ولكنه سمع صراخ أحد الثوار (لا كله إلا بيت ربنا ما حدش هيدخل هنا) وبالفعل استجاب له الثوار وبدؤوا في الانصراف، وما إن تأكد هذا الثائر من خلو المشفى من الأشخاص بدأ بسرقة مكيفات الهواء التي بالمسجد، وهم بسرقة محتويات المسجد من الداخل، فوجد الضابط والمجندين مختبئين فيه فقال لهم (انتم شرطة، ما تخافوش، أنا هاهربكو من هنا، أنا باحب وزارة الداخلية وليها أفضال كتير عليَّ، دا انا مش هاهربكو بس؛ دا انا هاوصل كل واحد لحد بيته).

وقام بالاتصال بأحد الأشخاص الذي أتى بسيارة سوزوكي فان وقاما بتحميل مكيفات الهواء، وأخذا الضابط محمود والثلاثة مجندين وانصرفوا من المكان إلى إحدى الشقق المجاورة للمشفى، وأحضر لهم الغداء وأكرمهم، وقام بإعطائهم ملابس مدنية ليرتدوها حتى لا يفتضح أمرهم، إلا أن الضابط محمود كان يشعر بشيء غريب في الأمر، وهو ما

دفعه إلى التجسس على هذا الشخص في الغرفة الأخرى من خلف الباب.

فسمع هذا الشخص يقول لصديقه (يا عم بس نعرف همَّ خبوا السلاح اللي كان معاهم فين وبعد كدا اللي انت عايزه تعمله فيهم اعمله إن شا الله نقتلهم ونرميهم في أي حتة) فذهب على الفور محمود إلى جنوده الثلاثة وأخبرهم بنية الشخص تجاههم، وأن يأخذوا الحيطة والحذر خشية أن يمسهم أي مكروه منهم، وبعد مرور وقت قصير حضر أحد الشخصين إلى محمود وأخبره بأنه ساعده ونجاه من الموت وفتك الثوار بهم، وجاء عليه الدور حتى يرد الجميل، فطلب منه أن يدله على مكان السلاح الذي كان بحوزتهم أثناء المظاهرة، فأخبره محمود أنه قام بإخفائه في مكان ما ويستطيع إرشاده عنه، وأنه لم يعد بحاجة إلى هذا السلاح، وبالفعل استقل الشخص السيارة الفان بصحبة محمود والمجندين الثلاثة للإرشاد على مكان السلاح، وفي منتصف الطريق أعطى محمود إشارة متفقًا عليها للمجندين وقاموا بضرب الرجل وإلقائه من السيارة والاستيلاء على السيارة والفرار بها، فقال أحد

المجندين (يا باشا اطلع على البحيرة، أنا بيتي أقرب واحد هنا) وبالفعل توجه إلى مركز كوم حمادة – محافظة البحيرة في إحدى القرى القريبة من محافظة الإسكندرية، إلى أن وصلوا إلى منزل المجند، فقام المجند بإخبار عمدة قريته بما حدث، وأن هذا الضابط قام بإنقاذ حياته و حياة زملائه وأنه عرض نفسه للخطر من أجلهم، فوجد محمود ترحيبًا شديدًا من العمدة، ووعده أن يوصله إلى منزله بالقاهرة، وبالفعل قام العمدة بتجهيز سيارة وعدد من الرجال المسلحين، وقام بنفسه بتوصيل الضابط محمود إلى منزله بمحافظة القاهرة، وكان مشهد عودته في غاية القسوة، عودة هذا الضابط مرتديًا جلبابًا بوجه مليء بالسحجات وكتفه مفصولة ومربوطة في جسده، وعندما شاهد والده ووالدته شرع في البكاء، وكانت المرة الأولى التي يبكي فيها منذ أن كان طفلًا، وعندما بكى محمود بكى كل شيء حوله، فلم يعتقد أحد أن يعود هذا البطل منكسرًا في هذه الحالة التي يرثى لها، وبعد مرور بضعة أيام واستقرار الأوضاع نسبيًّا وعودة الاتصالات للعمل مرة أخرى أرادت جميلة الاتصال للاطمئنان على ابنها الآخر، وقامت بالاتصال به فأخبرها أنه بخير

وقصت له قصة توأمه، وعندما علم ما حدث لتوأمه ومكان إصابته دخل في نوبة من البكاء، لأنه أحس بأنه كان سببًا في ما حدث لأخيه باشتراكع في هذه المظاهرة وقام بالاتصال بأخيه.

أحمد: محمود انت كويس؟

محمود: آه يا عم ما تقلقش، عمر الشقي بقي.

أحمد: طمني عليك بالله.

محمود: يا ابني أنا كويس الحمد لله.

أحمد وقد انهار من البكاء: سامحني بالله يا محمود علشان خاطري سامحني.

محمود: أسامحك على إيه يا ابني انت؟ فيه إيه؟

أحمد: قول لي بس إنك مسامحني علشان خاطري.

محمود: لا مش هاقول لك إلا لما تقول لي فيه إيه.

أحمد: محمود أنا شاركت في المظاهرات اللي كانت في اسكندرية، ما توقعتش إنك ممكن تكون مع الشرطة في اسكندرية.

محمود: انت بتتكلم بجد!

أحمد: والله العظيم ما كنت اعرف إنك معاهم، سامحني علشان خاطري.

محمود: وحتى لو ما كنتش معاهم، أكيد كنت هتضرب حد تاني له أهل وهيزعلوا عليه.

أحمد: بس انت غيرهم يا محمود، انت أخويا.

محمود: وإيه اللي عرفك؟ مش يمكن اللي يبقى مكاني دا يكون أحسن مني؟!

أحمد: طيب ما همَّ كانوا بيضربونا برضه.

محمود: وانت إيه اللي نزلك؟ يعني لو كنت فضلت في البيت كنت هتضرب؟!

أحمد: الناس تعبانة ومش لاقيين ياكلوا.

محمود: انت بتصرف في الأسبوع قد مرتب ١٠ موظفين، انت ما لك انت ومال الناس الغلابة.

أحمد: يا عم أنا غلطت وباقول لك سامحني.

محمود: يا عم أنا مسامحك ومسامح كل الناس اللي ضربتني، الله أعلم بظروف الناس، خلي بالك من نفسك يا عم الثورجي، ولو عرفت تنزل أجازة تعالى أنا نفسي أشوفك.

* * *

في الصباح دخل أحمد إلى مديره في الشركة وطلب نقله إلى محافظة القاهرة حيث تواجد أسرته، وبالفعل وافق المدير على نقله إلى القاهرة وقرر أن تنقطع علاقته بمدينة الإسكندرية، وألا يعود إلى تلك المدينة لأي سبب من الأسباب.

عاد أحمد إلى محافظة القاهرة حيث تسكن الأسرة، متلهفًا لرؤية توأمه الذي يمثل له النسخة المعدلة منه هو شخصيًّا، ويمثل له السند الذي طالما اتكأ عليه منذ الصغر.

وهو في الطريق أخذ يتذكر كيف كان أخوه يدافع عنه، وطالما تورط معه في مشاكله، وكيف كان يخفي أخباره السيئة عن أبيه وأمه، وكيف كان رد الجميل له بالمشاركة في مظاهرة كادت تتسبب في أن يفقد أخوه أحد أطرافه فيها.

وعند عودته أخذ يقرع الباب بشدة. فقامت جميلة بفتح الباب، وقام باحتضانها سريعًا، وتوجه إلى غرفة أخيه وقام باحتضانه بعنف.

محمود: حاسب كتفي يا متخلف.

أحمد: واحشني يا جدع، أعمل لك إيه؟!

محمود: انت ما خلصتش عليَّ في المظاهرة، جاي تكمل عليَّ هنا!

أحمد: مظاهرة إيه بس يا حودة؟ (وقام بتنبيهه بأن والدته في الغرفة).

جميلة: هو ما له ومال المظاهرات؟!

محمود: لا يا أمي أنا باقول له كدا علشان اللي عمل فيَّ كدا شباب في سننا.

جميلة: يلا الله يسامحهم يا ابني، قوم يا أحمد غير هدومك وسيب أخوك يرتاح.

أحمد: حاضر يا حاجة.

أحمد: يلا حمد الله على السلامة يا معلم، هاروح أغير واجي لك علشان عندي ليك خبر حلو.

محمود: روح يا اخويا ربنا يستر من أخبارك.

خرج أحمد من غرفة أخيه وجلس محمود يتصفح مواقع التواصل الاجتماعي التي ابتعد عنها فترة بسبب انقطاع الإنترنت في هذه الفترة وظروف إصابته، وعندما قام بفتح موقع التواصل الاجتماعي الفيس بوك الخاص به وجد رسالة من حساب لا يعرفه فحواها (ألف سلامة عليك يا محمود، يا ريتها كانت جات في الحيوان التاني).

قام محمود بالدخول على هذا الحساب لمعرفة صاحب الرسالة ولكنه فشل في ذلك، ولكن فضوله جعله يتحدث مع الفتاة لمعرفة من هو الشخص المقصود (بالحيوان التاني) فقام بمراسلة الفتاة.

محمود: مين حضرتك وحيوان مين؟!

الفتاة: الحيوان أخوك.

محمود: انت مين؟ ولو راجل تكلمني من الآكونت الحقيقي بتاعك.

الفتاة: أولًا أنا مش راجل، ثانيًا أنا حتى لو كلمتك من الآكونت بتاعي انت مش هتعرفني، اللي يعرفني كويس الحيوان التاني زي ما قُلت لك.

محمود: انتِ ازاي تقولي على أخويا كدا؟ انتِ إنسانة ما اتربيتيش.

الفتاة: أنا واحدة اسمها سمر، وانا عندي ١٨ سنة أخوك المحترم أخد مني أعز ما أملك، ووعدني بالجواز وآمنت له، وصورني وهددني بالفضيحة لو اتكلمت مع حد، وانا خُفت وسكت، وهو خلع بعملته السودا والمهببة على دماغه، أنا مش باكلمك عايزة منك حاجة، أنا اتعرفت على واحد خليجي وحكيت له اللي حصل وقبل بيَّ وستر عليَّ واتجوزني، والحمد لله أنا عايشة في نعمة، أنا مش عايزة ربنا ياخدك بذنب أخوك، لأني أسمع إنك كويس، ولو ان ما فيش ظباط كويسين خالص، أنا كل اللي طالباه منك إنك تقول له يا أحمد سمر بتقول لك اوعي تفتكر إنك فلت، ربنا مش هيسيبك، واللي عملته فيَّ تشوفه في بناتك.

محمود (في حالة من الذهول): انت بتقولي إيه؟ انتِ كدابة.

سمر: أخوك عندك اسأله، وبعدين أنا مش طالبة منك غير إنك توصل له الكلمتين دول.

دخل محمود في حالة من الصمت الرهيب وقام بإغلاق الفيس بوك الخاص به، وجلس يفكر فيما قالته له تلك الفتاة، وبينما هو جالس على سريره دخل عليه أخوه أحمد وقال له:

أحمد: أقول لك يا معلم على المفاجأة اللي أنا مجهزها لك.

محمود (بحزن): انت تعرف بنت اسمها سمر؟

أحمد: لأ، سمر مين؟

محمود: سمر بتاعة اسكندرية.

أحمد (في صدمة): قلت لك لأ ما اعرفهاش.

محمود: انت كدا راجل باللي عملته دا؟!

أحمد: يا عم انت غبي؟! باقول لك ما اعرفهاش.

محمود: أحمد، أنا بابقى عارفك كويس لما بتكذب.

أحمد: أيوة يا عم عارفها، وعملت اللي هيَّ قالت لك عليه، عايز إيه تاني؟ وبعدين هيَّ وصلت لك ازاي البت دي؟!

محمود: هو دا كل اللي هامك؟ وصلت لك ازاي! عامة هيَّ باعتالك رسالة وبتقول لك ربنا مش هيسيبك.

وانا كمان بأكد على كلامها وباقول لك ربنا مش هيسيبك، انت بقيت إنسان غريب غير اللي اعرفه، إنسان مليان شر، ما فكرتش يا أخي في البنت دي؟ ما فكرتش في أهلها؟! هيَّ دي آخرة ثقتها فيك؟ الغلطة

الوحيدة اللي هيَّ عملتها إنها وثقت في بني آدم زيك ما عندوش إحساس ولا ضمير..

قام أحمد بالخروج من غرفة أخيه غاضبًا وقرر محمود بأن يقوم لتغيير ملابسه للذهاب لإيجاد حل لكتفه المربوطة.

توجه محمود إلى مستشفى الشرطة لعلاج كتفه وإجراء أشعة، فأخبره الدكتور بأن كتفه مفصولة عن جسده، وأنه سيقوم بتركيب خطاف بالكتف لربط الذراع بالجسد، وأنه أصيب بنسبة عجز 60٪ بذراعه، وأن كتفه سيتم تثبيته في جسده، وأن الحركة الوحيدة التي يستطيع القيام بها من مفصل الكوع.

خرج محمود من المشفى محطمًا تمامًا، ليس في كتفه فقط؛ وإنما تحطم قلبه أيضًا، وكان بداخله شيء يرفض أن تكون النهاية بمثل هذه الطريقة، وأخذ يراسل كبرى المستشفيات عن حالته، وأنه يريد أن تعود كتفه إلى العمل مرة أخرى حتى يستطيع هو العودة إلى العمل مرة أخرى، وأنه يرفض أن تكون نهايته بخسارة من أول جولة، ودائمًا عندما يقترب فقدان الأمل يولد أمل جديد، فقام طبيب ألماني بمراسلته بأنه

يقوم بإجراء دراسات على مثل هذه الحالات تحديدًا، وأخبره أيضًا أن نسبة نجاح العملية لا تتعدى 1٪ ولكن هذا الرقم بالنسبة للضابط محمود كان رقمًا كبيرًا، حيث إنه كان قد فقد الأمل تمامًا، وبالفعل قرر أن يسافر ويتقابل مع الطبيب، وقام الطبيب بإجراء جراحة ناجحة له في كتفه فأعادتها إلى الحياة مرة أخرى، وبعد أن كانت نسبة العجز في ذراعة 60٪ أصبحت نسبة العجز منعدمة وعادت كتفه للعمل.

كم كان سعيدًا أن حياته العملية لم تعد مهددة كما سبق، وأنه على أتم الاستعداد للعودة إلى عمله مرة أخرى وهو يرغب في العودة سريعًا إلى العمل حتى يرتدي ملابسه الأميرية، ويمسح مشهد الهوان الذي ظهر به من ذاكرته وذاكرة عائلته.

فرحت الأسرة الصغيرة بشفاء نجلهم، وكعادة محمود لا يستطيع الفرح دون أن تشاركه حبيبة أفراحه، فقام بالاتصال بها وطلب منها أن يذهبا إلى أحد المطاعم الكبرى بمناسبة شفائه وعودة كتفه إلى الخدمة مرة أخرى.

وقام بالذهاب إلى منزلها واستقلا سيارته وذهابا إلى المطعم المتفق عليه وجلسا يتناولان الطعام، وأثناء قيامهما بتناول الطعام قالت له

حبيبة: عارف يا حودة، أنا حاسة إن اللي حصل دا خير كبير قوي من ربنا.

محمود: أكيد طبعًا، كل اللي يجيبه ربنا كويس.

حبيبة: عارفة يا حبيبي، بس أنا جات لي فكرة حلوة قوي.

محمود: إيه هيَّ؟

حبيبة: انت تكتب طلب نقل للقاهرة، وأكيد بعد اللي حصل دا مش هيرفضوا لك طلب.

محمود: فكرة والله.

حبيبة: آه والنبي يا محمود، اعمل كدا علشان نتجوز بقى.

محمود: يا بنتي انتِ كل ما تشوفيني تقولي لي نتجوز، هنتجوز ما تخافيش.

حبيبة: والله انت رخم.

محمود: باهزر معاكِ، كلي كلي علشان شكل الفاتورة هتبقى غالية وهنمسح المطعم بعد الغدا.

وقضيا يومهما وقام محمود بتوصيلها إلى منزلها والعودة إلى منزله.

وبالفعل بعد تمام الشفاء عاد الضابط محمود إلى عمله وقام بطلب نقله إلى القاهرة، وهو ما قوبل بالموافقة، قاموا بنقله إلى محافظة القاهرة حتى يكون قريبًا من منزله، وسرعان ما انخرط مع أصدقائه الجدد في القطاع الجديد، وبعد بضعة أيام أخطره أحد الضباط بأن القائد في انتظاره فتوجه على الفور إلى مكتب القائد وأخطره أن يجهز نفسه لندب إلى محافظة شمال سيناء بسبب تردي الأوضاع هناك، وأنهم يريدون أن يسيطروا على الأوضاع حتى تعود إلى طبيعتها، وأن الدور قد أصابه للندب هناك.

القائد: محمود، روح علشان الصبح هتطلع انتداب شمال سينا إن شاء الله.

محمود: شمال سينا! ما ينفعش حد تاني يطلع يا افندم؟

القائد: إيه يا محمود انت خايف ولا إيه؟!

محمود: لا يا افندم مش خايف، بس بصراحة مش مستعد نفسيًّا.

القائد: ما فيش حد يا ابني بيروح شمال سينا وبيكون مبسوط، بس هيَّ أقدار، اللي مكتوب لك هتشوفه، في شمال سينا، في جنوب سينا، في أي حتة هتشوفه.

محمود: طيب نأجلها شوية حتى.

القائد: ما فيش تأجيل، ما دام دورك جه توكل على الله واطلع، يا عالم التأجيل دا ممكن يكون شر ليك.

محمود: حاضر يا افندم تعليماتك.

وكان هذا الخبر كالصاعقة على الضابط محمود؛ لأنه لا يستطيع أن يخبر أهله بهذا الندب، لأنهم يعلمون تمامًا الوضع في تلك المنطقة، فما كان عليه إلا أن يخفي الأمر عن أهله، وأخبرهم بأنه تم انتدابه لمدينة شرم الشيخ لانعقاد مؤتمر هناك، وقام بتحضير حقيبته وذهب إلى القطاع ليستقل سيارة الشرطة في فوج أمني إلى محافظة شمال سيناء، ووجد هناك أحد أصدقائه، الذي لم يشاهده منذ التخرج قادمًا من قطاع آخر، ومعه في نفس الانتداب فتصافحا وتعانقا واتفقا أن يكونا سويًّا طيلة فترة الانتداب، وبالفعل وصلوا إلى مدينة شمال سيناء وأخبروه هو وصديقه أنهم منتدبون إلى منطقة رفح، وأن هناك مدرعة ستقوم بنقلهم إلى هناك، وعندما استقلوا المدرعة فإذا بالضابط صديق محمود يقول له (تعرف إني مخبي على أهلي موضوع شمال سينا دا).

فابتسم محمود لأنه فعل نفس الشيء الذي فعله وأراد أن يخبره بأنه فعل مثله، ولكن العبوة الناسفة المزروعة في الطريق كانت أسرع منه فانفجرت المدرعة وطارت بهم في الهواء.

وعلم أنه الموت لا محالة، وأخذ يردد الشهادة ومرت نفس الذكريات أمام عينيه مرة أخرى، وسقطت المدرعة أرضًا واعتقد محمود بأنه انتقل إلى العالم الآخر، وبدأ يتحسس جسده (أنا عايش! إيه دا أنا عايش!!!!) فوجد نفسه على قيد الحياة، وبدأ يبحث في المدرعة المتفجرة عن صديقه فوجد رأسه مفصولة عن جسده وساقطة تحت قدميه، كاد عقل محمود أن يجن أو إنه وصل إلى جنون العقل بالفعل، وأخذ يصرخ صرخات تجاوزت طبقات الغلاف الجوي على صديقه الذي فارق الحياة، وعلى طاقم المدرعة بالكامل الذي فارق الحياة أيضًا، هلعت سيارات الإسعاف إلى مكان الانفجار ووجدوا الضابط محمود وحيدًا على قيد الحياة وباقي طاقم المدرعة فارقوا الحياة، فقاموا بنقله إلى مستشفى العريش لتلقي العلاج وتطبيب ما به من إصابات طفيفة، والتي لحقت به من الانفجار.

وعندما أتى الليل قام محمود بارتداء ملابسه المدنية وقام بمغادرة المشفى خلسة واستقل سيارة من مدينة العريش في طريق العودة إلى منزله، وأثناء عودته في الطريق أخذ يفكر كيف سيعود إليهم بهذا الانكسار مجددًا؟! كيف يعود بهزيمة أخرى؟! فأسرته لا تستطيع أن تتحمل هزيمة أخرى من هزائمه، فقرر أن يذهب إلى أحد أصدقائه إلى أن تستقر حالته وتختفي السحجات والجروح التي لحقت به، ثم يعود إليهم وكأن المؤتمر قد انتهى متأخرًا، وأنه بقي مزيدًا من الوقت هناك للتنزه، وقام بالاتصال بأمه من أحد الأكشاك في محافظة القاهرة وأخبرها بأن هاتفه سقط في الماء أثناء قيامه بالسباحة في شرم الشيخ، وأنه بخير وأنه سيعود عقب انتهاء المؤتمر الذي قد يمتد لبضعة أيام قليلة قادمة، وبعد تمام شفائه عاد إلى منزله وكأن شيئًا لم يكن، ولكن فوجئ بأن أسرته على علم بما حدث له في شمال سيناء، وأنه لا بد أن يترك العمل في وزارة الداخلية ويتجه لأحد الأعمال المدنية أو السفر للخارج، ولكنه قابل تلك الأفكار بالرفض الشديد، ورفض أن يخرج من تلك المهنة الشاقة منهزمًا للمرة الثانية.

وربما كانت طقوس الضابط محمود في الفرح متشابهة في الحزن، فهو أيضًا يشارك حبيبته أحزانه ويثق في رأيها، وهو على يقين تمامًا أنها معتدلة الفكر وتشبهه في هدوء الطباع، وعندما يجد نفسه عاجزًا عن التفكير يلجأ إليها، خاصة أن أسرته تحت مؤثر عاطفي قوي؛ لأن الأمر يتعلق بقطعة منهم، فمن المتوقع ألا يكون القرار سليمًا والرأي صائبًا، وهذا ما حتم على الضابط محمود اللجوء للحبيبة.

وقام بالاتصال الهاتفي بها:

حبيبة أنا عايز أشوفك.

حبيبة: حاضر يا محمود، هاعرف ماما واكلمك.

وعقب نصف ساعة من الزمن قامت بالاتصال به.

حبيبة: يلا يا محمود، عدي عليَّ أكون جهزت.

استقل محمود سيارته واصطحابها إلى أحد المقاهي وجلسا يتحدثان حول مستقبله.

حبيبة: ها قررت تعمل إيه يا محمود؟

محمود: مش عارف يا حبيبة، أمي وابويا عايزيني أسيب الوزارة بس أنا مش هاقدر.

بيني وبين نفسي مش قادر اعترف بالفشل.

حبيبة: يا حبيبي انت ما فشلتش ولا حاجة، هيَّ الظروف كدا والحمد لله إن ربنا نجاك وخرجك من اللي حصل دا بالسلامة.

محمود: يعني انتِ قصدك إيه؟

حبيبة: بصراحة يا محمود أنا رأيي من رأيهم. أنا باقول الحمد لله لحد كدا وتشوف لك شغلانة تانية تكون كويسة وخلاص.

محمود: تصدقي أنا غلطان إني باخد رأيك، شغلانة تانية إيه اللي أنا هاشتغلها! أنا عايز أكمل ظابط.

حبيبه: خلاص انتقل من الأمن المركزي وروح مكان مش خطر.

وكان الحل الوسط هو تركه العمل بقطاع الأمن المركزي والاتجاه للعمل في قطاعات الوزارة الأخرى، فقام بكتابة طلب لنقله من الأمن المركزي إلى الأمن العام، وبالفعل تمت الموافقة على هذا الطلب نظرًا لما تعرض له من أحداث سابقة، وعمل كضابطٍ نظاميٍّ بأحد أقسام محافظة القاهرة، وكان محمود بداخله دافع يجعله يعمل بجد ليثبت أنه قادر على العمل في تلك المهنة الشاقة، وأصبح يعمل بكل اجتهاد إلى أن عرض

عليه رئيس مباحث القسم العمل معه في مجال البحث الجنائي، وهو ما قوبل بمزيد من الشغف والترحاب من الضابط محمود، ولكنه لا يعلم مدى مشقة العمل في المباحث الجنائية، فمبجرد دخولك إلى هذا العالم أنت مطالب بالعمل ليل نهار بدون توقف، وعليك أن تتحمل النقد من جميع الكائنات البشرية، وأهم شيء في العمل بالمباحث ألا تسأل نفسك ما هو العائد من تلك المهنة، لأنك لا تكسب سوى البدن المرهق والعيون الساهرة وكثرة الأعداء والمتربصين، وعندما تركب قطار المباحث سيمضي بك ولن يتوقف في أي محطة؛ فهو لا يتوقف إلا بعد مرور أكثر من منتصف العمر، سيمضي وتمضي معه وتمر عليك الأيام والليالي كقطعة واحدة، تمر على الأهل والأصدقاء مرور الكرام، وتسمع أخبارهم مصادفة، وتنحصر اهتماماتك على معرفة أخبار المسجلين والأشقياء وهو ما لم يستطِع تحمله الضابط محمود، فأحس أنه يدور في حلقة مفرغة، وبدأ الملل يتخلل ثنايا جسده، وبدأ يتباطأ في تنفيذ مهامه وانتهت شحنة الشغف التي دخل بها هذا المجال، وقال له رئيسه ذات ليلة (انت بقيت فردة نايمة يا محمود) وانتهى به الأمر أن يعين على خدمة

أحد الكنائس، ومرت أيام وأيام في تلك الخدمة، وفي ذات ليلة شاهد الضابط محمود أحد الأشخاص يرتدي بدلة قادمًا نحوه ببطء بطريقة توحي بالريبة، خاصة أن الوقت متأخر، قرابة الخامسة صباحًا، خصوصًا أن الطريق الذي يسير به هذا الشخص مغلق وغير مسموح للسير به، في هذا التوقيت لا توجد صلاوات بالكنيسة، فأمره الضابط محمود أن يتوقف، ولكن هذا الشخص ظل يتحرك ببطء نحوه ولم يستجب للأمر فقال له (اقف عندك هضرب بالنار) ولكن الشخص مستمر بالزحف نحوه حتى أصبح قاب قوسين أو أدنى، فهم محمود بإخراج سلاحه وإطلاق النار عليه، ولكنه خشي أن يكون هذا الشخص من المهتزين نفسيًّا أو ما شابه ذلك، فيقتله خطأ، والشخص مستمر بالسير نحوه، وهناك شعوران متناقضان بداخله ما بين قتله أو عدم قتله فحضر في ذهنة قول الله سبحانه وتعالى (**لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**).

واحتارت نفسه أن تكون مقتولة أو تكون قتيلة، وأخذ يردد الشهادة بداخله، ومرت ذكرياته للمرة الثالثة أمام عينيه، وأغمض عينه وهي

مليئة بالدموع على ما واجهه في هذه الدنيا في انتظار أن ينال الشهادة وينتقل إلى رب العالمين، وبعد مرور برهة مرت عليه كالدهر ولم يحدث شيء فقام بفتح عينه فوجد الرجل واقفًا أمامه ويقول له (إيه بتزعق ليه؟) واتضح أن هذا الشخص هو محام ضل الطريق، ولكنه استكبر أن ينصاع إلى أمر الضابط الذي كان سيقضي على حياته لولا نفسه السوية، وبعدما انتهى هذا المشهد فتح محمود هاتفه واخد يشاهد صور أمه وأهله وحبيبته ويقول لنفسه (أنا كنت هاموت 3 مرات، أنا مستني إيه؟!) وقرر أن ينصاع لرغبة والديه ويترك العمل بوزارة الداخلية.

وقام بالاتصال بحبيبته.

محمود: حبيبة انتِ كويسة.

حبيبة: ما لك يا محمود؟ فيه إيه؟ انت اللي كويس؟

محمود: أنا كويس، أنا باكلمك علشان أقول لك أنا خلاص هاسمع كلامك وكلام أهلي.

حبيبة: تسمع كلامنا في إيه؟

محمود: هاقدم استقالتي.

حبيبة: محمود، فيه حاجة حصلت؟ احلف إنك كويس.

محمود: والله يا بنتي ما فيه حاجة، أنا بس اقتنعت بكلامكو.

حبيبة: لا طبعًا، انت مش مكلمني الفجر علشان اقتنعت بكلامنا، أكيد فيه حاجة حصلت.

محمود: بعدين هابقى أقول لك، روحي كملي نوم.

بالفعل تقدم بطلب الاستقالة وهناك أخبروه أن طلب الاستقالة محل الدراسة، فأشار عليه أحد رؤسائه بعد ترك موقعه وقال له (لما كلنا يا ابني نمشي ونسيبها، أمال مين اللي هيحمي أهلنا؟ ومين اللي هيكمل المشوار؟ ولا انت عايزها تبقى فوضى) واقترح عليه أن يترك العمل في قطاع المباحث لأنه عمل شاق وأن يتجه لمجال آخر للعمل في رسالة الأمن، وحينها شعر الضابط محمود بأريحية لهذا الاقتراح، وترك العمل في مجال البحث الجنائي، وتم إلحاقه بالحماية المدنية، وفي أول يوم عمل بالحماية المدنية تقابل مع مديره وأخبره بأن هناك دورة تدريبية في مجال تفكيك العبوات الناسفة خارج البلاد، وسأله عنها إذا كان يرغب في الالتحاق بها أم لا، فكان السفر خارج البلاد بمثابة متنفس للضابط

محمود، وطلب من مديره أن يلتحق بتلك الدورة، وبالفعل سافر إلى الخارج، وبعد انتهاء دورة أبطال العبوات الناسفة صافحه الخبير الأجنبي وقال له (لقد كنت متميزًا، أتمنى حين أراك المرة القادمة أن تكون بالخمسة أصابع) فلم يفهم تلك العبارة، فسأل أحد أصدقائه عن قصد هذا الخبير، فأخبره بأن خبراء المفرقعات عرضة دائمًا لفقد أطرافهم، فرد عليه محمود قائلًا (ربنا يستر) وعاد محمود إلى مصر وعمل في مجال المفرقعات، ويومًا بعد يوم يقوم بتفكيك العبوات الناسفة ببراعة.

واستقرت حياة الضابط محمود نسبيًّا، وبدأ يشعر بأن له دور في المجتمع، وأنه يقوم بعمل سامٍ ذي قيمة، فهو يكف الأذي عن كافة المخلوقات، فتلك العبوات الناسفة تقوم بالقتل العشوائي، لا تفرق بين مواطن وآخر، وبين دين وجنس، فزارعوها بحاجة إلى عملية ذراعة عقل وقلب، فلا أستطيع أن أتخيل ما الذي يدفعك لقتل الأبرياء والرجال والنساء، وما هي تلك الشريعة التي تبيح القتل؟!

فكان عندما يقوم بتفكيك عبوة ناسفة ويسمع أصوات الناس تتعالي بالدعاء له ويقومون بالتصفيق له عقب الانتهاء، يشعر بنشوة غير طبيعية وكأنه يملك مال الدنيا، وكان دائمًا يقول لنفسه بأنه أخيرًا وجد العمل المناسب له.

وما دامت استقرت أوضاع الضابط محمود فهو من الأولى أن يوفي بوعده مع حبيبته.

وفي يوم من الأيام وعقب انتهاء محمود من عمله.

قام بالاتصال بحبيبته.

محمود: حبيبة، عندكو إيه بتقدموه للضيوف؟

حبيبة: اشمعنى.

محمود: هاجي أنا وماما نشرب معاكو الشاي.

حبيبة: بتهزر!

محمود: آه باهزر يلا سلام.

حبيبة: محمود استنى بس، بالراحة عليَّ بالله، انت بتتكلم بجد صح؟

محمود: أيوة يا بنتي باتكلم بجد.

حبيبة: والله مش مصدقة نفسي، أنا قلبي هيقف من الفرحة.

محمود: لا ألحقك بقى قبل ما قلبك يقف.

وتوجه محمود إلى منزله وقرر أن يطلع والدته على الأمر.

محمود: ماما.

جميلة: نعم يا حبيبي.

محمود: أنا عايز أخطب.

جميلة: صحيح يا حبيبي؟ ألف بركة، وهتخطب مين بقى؟!

محمود: واحدة بنت ناس محترمين اسمها حبيبة.

جميلة: منين ولا باباها بيشتغل إيه؟

محمود: باباها كان دكتور وتوفاه الله وساكنين جنبنا هنا.

جميلة: انت تعرفها كويس يعني؟ واثق من أخلاقها؟

محمود: آه يا ماما، بصراحة أنا وهيَّ بنحب بعض من زمان ومتفقين إننا نتجوز، بس الظروف اللي فاتت عطلتني كتير إني أقول لك على الموضوع.

جميلة: خلاص يا حبيبي، نخطبها لك، هاقول لباباك لما ييجي ونروح سوى.

محمود: ربنا يخليكِ يا أحلى أم.

وقامت بإطلاع والده على الأمر فلم يقف أمام رغبة ولده وذلك لأنه يثق في اختيارته وحسن تصرفه في الأمور.

وذهبت جميلة مع ولدها محمود إلى منزل حبيبته حبيبة، وكانت مقابلة سارة، اقتنعت جميلة بحبيبة وأسرتها الطيبة، وأنهت المقابلة العائلية على أن يأتي زوجها صالح والد العريس للاتفاق مع عم حبيبة لإعلان خبر خطبتهما.

وفي اليوم التالي ذهب محمود إلى عمله في قمة الفرح لأنه أخيرًا حلمه بالزواج من حبيبته أصبح أمام عينيه، وعندما وصل إلى مقر عمله وجد إخطارًا بوجود عبوة ناسفة بجوار إحدى محطات الوقود، فخرج مسرعًا حتى يقوم بإبطالها ويكف أذاها عن الناس، حيث إن انفجارها بجوار محطة الوقود يمثل خطرًا هائلًا على تلك المنطقة بأكملها، وأثناء قيامه بتفكيك العبوة الناسفة مر شريط حياته أمام عينيه، وجد أمه تبكي، وأباه يبكي، وحبيبته فاقدة للوعي، هذه المشاهد نقلتها له روحه الطاهرة التي صعدت إلى السماء، بعدما حولت العبوة الناسفة جسده إلى أشلاء، هذا

الصغير الذي طالما آسى في الحياة، تركها بكل ما فيها وصعد إلى السماء، الضابط محمود الذي لم يعرف طعم الراحة أخيرًا وصل للراحة الأبدية، حزنت عليه المدينة بأكملها.

موته أبكى الطيور، وأسقطت لأجله الأشجار أوراقها، الضابط محمود مضى إلى غير عودة، وأصبح صورة للذكرى على الجدران، وانضم إلى غيره من المئات من الضباط الذين قدموا أعمالًا بطولية، وحملوا بالأمانة والذمة والصدق وواراهم تراب الوطن الطاهر، الضابط محمود قضى نحبه وغيره من ينتظر في مهنة الموت بكل مجالاتها، تسرق حلو العمر وتقذف مر الأيام والساعات واللحظات، وبعد مرور أيام العزاء جلس أحمد توأم الشهيد يفكر، ماذا لو كنت قبلت أنا في كلية الشرطة ورفض هو؟ لكان عاش حياة المجون وعِشت أنا حياة التعاسة والشقاء، وأخذ يردد مع نفسه (حقيقي لو علمتم الغيب لاخترتم الواقع).

وقرر أحمد أن يغير من أسلوب حياته، وكان لفقد أخيه السبب الأكبر في ذلك، فعندما تترك حبل الله قد يرسل إليك البلاء لتعود إليه،

وفي ذلك الوقت كان أحمد في أشد الحاجة للشعور الذي أحس به ذات يوم حين دخل المسجد وتوضأ وصلى، فاتخذ قرارًا أن يكون من مرتادي المساجد، وأن يحافظ على صلواته، وكان كلما يذهب إلى المسجد يتذكر كيف كان الله به رحيمًا، وكيف نجاه مما لحق بشقيقه فتدمع عيناه باكية على فراق أخيه، وعلى ستر الله له، رغم أنه عاش قرابة الربع قرن بعيدًا عن طريقه، وأصبح أحمد يشبه أخاه الشهيد في كل شيء، في هدوئه والتزامه وطريقة ملابسه التي تغيرت، وتجعل من يصادفه يعتقد للوهلة الأولى بأنه محمود.

وبعد مرور قرابة العام قرر أحمد أن يتزوج ويلتزم خصوصًا بعد ما حدث لتوأمه، وذهب إلى والدته وقال لها:

أحمد: ماما ما تشوفي لي عروسة.

جميلة: عينيَّ يا حبيبي بس انت مواصفاتك إيه؟

أحمد: حاجة على ذوقك كدا، بنت ناس ومحترمة.

جميلة: أنا أعرف واحدة صاحبتي بنتها جميلة، ما شاء الله أدب وأخلاق ومحجبة ولبسها فضفاض وبتمشي عينيها في الأرض.

أحمد: طيب ما حلوة دي يا ماما.

جميلة: خلاص أنا هاكلم مامتها ونروح نشوفها، لو عجبتك تقول لابوك ويروح يتفق معاهم.

وبالفعل قامت الأم بتحديد ميعاد لمقابلة صديقتها وابنتها، وذهب أحمد ووالدته جميلة لرؤية الفتاة الجميلة، وعندما وصلا منزل الفتاة قامت والدتها بمقابلتهم، وحين رآها العريس أحمد انشرح قلبه وقال في نفسه أخيرًا سأخرج من مستنقع الفساد الذي طالما حاصرني سابقًا، وبعد مرور فترة قصيرة خرجت الفتاة، وعندما شاهدها أحمد دخل في نوبة من الضحك، مما أثار غضب والدته ووالدة العروسة، فقالت والدة العروسة (جرا إيه يا جميلة؟ انتو جايين تتريقوا على بناتنا ولا إيه؟).

جميلة: والله أبدًا يا حبيبتي، أنا ما اعرفش أحمد ما له، جرا إيه يا احمد، ما لك فيه إيه؟

أحمد: لا مؤاخذة يا جماعة أنا الموقف جديد عليَّ علشان بس أول مرة أتقدم لبنت، فحاسس إن منظري يضحك بس، لكن أنا ما باضحكش على العروسة؛ أنا باضحك على نفسي أنا.

أم العروسة: لا يا حبيبي ما فيش حاجة، حصل خير، تعالي يا جميلة نقعد في الأنتريه وسيبي الولاد يقعدوا مع بعض شوية.

وخرجت جميلة وأم العروسة فقال أحمد للعروسة:

أحمد: تخيلي دونًا عن بنات مصر كلها أتجوزك انتِ، اظاهر أمي جايباني هنا علشان أديكِ الألفين جنيه اللي عليَّ، إذا كنت قضيت معاكِ ليلة وكنتِ عايزة ألفين جنيه، تخيلي بقى لما اتجوزك الشهر هيقف عليَّ بكام؟!

العروسة: لا ما تقلقش ما انا هاعمل لك تخفيض.

وبعد فترة قصيرة هم أحمد بالمغادرة فقالت له العروسة (أحمد انت هتقول لأمك إيه؟).

أحمد: أكيد مش هاقول لها إن انتِ مونيكا ما تقلقيش يا منى، أنا مش قليل الأصل للدرجة دي، هاقول لها ما عجبتنيش وخلاص.

وغادر أحمد وجميلة منزل العروسة، وأثناء عودتهما إلى المنزل سألته جميلة عن رأيه في العروسة قائلة (إيه رأيك في البنت يا أحمد؟ أدب، وأخلاق واحترام، ربنا يجازي اللي رباها خير).

أحمد: آه فعلًا، مؤدبة ما شاء الله.

جميلة: بس أنا زعلانة منك، بتضحك كدا قدام الناس! الناس يقولوا علينا إيه؟ وبعدين انت كنت بتضحك على إيه أصلًا؟ البنت الغلبانة اللي حرام عليك تكسر نفسها.

أحمد: آه صح يا ماما عندك حق.

جميلة: هنقول لباباك يتفق معاهم.

أحمد: لا يتفق إيه؟ أنا مش هاتجوز دلوقتي.

جميلة: أُمال قايل لي أدور لك على عروسة ليه؟ واجيب لك عروسة زي دي تاني منين؟ دي تقول للقمر قوم وانا اقعد مكانك.

أحمد: يا أمي مش عاجباني، شوفي لي غيرها.

جميلة: لا غيرها إيه؟ أنا مخاصماك علشان رايح تضحك على بنات الناس وتحرجني معاك، أنا مش هادور لك على حاجة تاني، ابقى دور لنفسك.

أحمد: أحسن برضه، قفلي على الموضوع دا.

وعندما وصل المنزل دخل أحمد إلى غرفته وأخذ يتحدث مع نفسه (هو أنا ممكن اتجوز واحدة زي دي؟! طيب لو ما كنتش قابلتها في اسكندرية كنت هاتدبس فيها؟!).

وقرر أن يغلق فكرة الزواج تمامًا خوفًا من أن يتزوج بمثل هذه الفتاة العاهرة.

* * *

بعد مرور عام من الزمان.

وأثناء عودة أحمد من العمل توقف في إحدى الإشارات، وأثناء وقوفه قامت سيارة بالاصطدام به من الخلف، فقام بالنزول من سيارته فوجدها فتاة في غاية الجمال فقال لها أحمد: ينفع كدا؟

الفتاة: أنا آسفة.

أحمد: دي أحسن خبطة اتخبطتها في حياتي.

الفتاة: شوف عربيتك تتكلف كام وانا مستعدة أدفع تمن تصليحها.

أحمد: أنا ما اعرفش تتكلف كام، تعالي نروح لأي سمكري ونشوف تتكلف كام.

الفتاة: ماعلش أنا مش هاقدر أروح معاك في حتة، أنا عندي شغل وهاتأخر عليه.

أحمد: خلاص اديني رقمك وأنا هاروح أصلحها واقول لك اتكلفت كام.

الفتاة: بص أنا مش هاقدر أديك رقمي، أنا شغالة في بنك **CIB** في خدمة العملا، شوف ليك فلوس قد إيه وتعالى على البنك.

أحمد: طيب انتِ اسمك إيه؟

الفتاة: لمياء شاهين.

وانصرف أحمد وهو لم يكن يريد إصلاح السيارة؛ إنما أراد التعرف على الفتاة لشدة جمالها، وبالفعل قام أحمد بإصلاح سيارته وتوجه إلى البنك، وتوجه إلى قسم خدمة العملاء، وما إن شاهدته الفتاة قالت له: ها اتكلفت كام؟

أحمد: اتكلفت زي ما اتكلفت، أنا مش جاي آخد فلوس، أنا جاي أقول لك إن انتِ أجمل بنت شُفتها في حياتي.

لمياء: وفر رأيك لنفسك، ويا ريت ما تتعداش حدودك معايا في الكلام.

أحمد: طيب لو اتعديتها؟!

لمياء: هاجيب الأمن يرميك برَّا.

أحمد: يرميني برَّا! انتِ مش عارفة انتِ بتتكلمي مع مين؟

لمياء: ما اعرفش ومش عايزة أعرف.

أحمد: بس انا عايز اعرف، عامة أنا هامشي، بس هنتقابل تاني.

خرج أحمد من باب البنك ولكن تلك الفتاة لم تخرج من ذهنه، لم يعلم حينها سر تفكيره الشديد بها، هل لشدة جمالها؟ أم لأنها رفضت أن تعطيه رقم هاتفها، أو حتى أن تتحدث معاه مجرد الحديث؟

وقرر أحمد ان يجمع عنها كل المعلومات الممكنة وتوصل إلى ان والدها مستشار مشهور، وبسؤاله عنها توصل إلى أنها فتاة في قمة الأدب وأنها غير مرتبطة، فوجد أحمد أن تلك الفتاة بالتحديد هي التي ظل طيلة الفترة السابقة يبحث عنها، وقرر أن يقص الأمر على والده وأخبره قصتها فرد عليه والده:

يااه يا أحمد انت رجعتني لأكتر من 25 سنة لورا، أنا متجوز أمك في خناقة برضه، كان فيه شباب بيعاكسوها وانا اتدخلت في الموضوع، ومن هنا بدأت حكايتنا، بص أنا باتفائل بالقصص دي، ما دام انت عرفت إن البنت محترمة وأهلها ناس محترمين، هات لي رقم والدها وانا هاكلمه ونتفق معاه.

وبالفعل توصل أحمد إلى رقم هاتف والدها وقام صالح بالاتصال به وتعرف عليه واتفقا على موعد للتعارف، وذهبت الأسرة الصغيرة المكونة من صالح وجميلة وأحمد إلى منزل المستشار شاهين للتعرف عليهم وعلى كريمته، وعندما خرجت لمياء انفرجت أسارير صالح وجميلة، لأنهم وجدوها فتاة في قمة الجمال، وعندما تحدثوا إليها تشجعوا للأمر أكثر وأكثر، فتاة لبقة، مهذبة، متزنة في حديثها، ووضعت الأسرتان الخطوط العريضة واتفقوا على خطبتهما.

وأقاموا حفلًا صغيرًا يضم الأسرتين، وأخيرًا تحقق حلم أحمد لعثوره على فتاة أحلامه، وما كان يزيد تعلقه بها أكثر وأكثر هو أنها غير كل الفتيات التي عرفهن من قبل؛ فهي بنت تعرف الأصول والعادات

والتقاليد، وملتزمة بهما، وعاش أحمد ولمياء أجمل أيام حياتهما أثناء فترة خطبتهما، وانتهى أحمد من تجهيز شقته، وقام بتحديد موعد حفل الزفاف، وقبل يوم الزفاف تحدثت لمياء مع أحمد قائلة:

لمياء: أحمد أنا عايزة أقول لك على حاجة.

أحمد: إيه؟

لمياء: أنا متوترة جدًّا وخايفة.

أحمد: خايفة إيه؟! دا انا ما صدقت إننا هنتجوز ويتقفل علينا بيت واحد.

لمياء: خلاص بقى يا أحمد ما توترنيش أكتر.

أحمد: لا أبوس إيدك توتر إيه بس؟ دا انتِ طلعتِ عيني في الخطوبة، مش عارف أمسك إيدك حتى، هتطلعي عيني في الجواز كمان؟!

لمياء: بص والله غصب عني، أنا مش عايزة أرخم عليك، وفي نفس الوقت الوضع جديد عليَّ فمتوترة، أنا عايزة أقول لك حاجة بس خايفة تفهمني غلط، أو تاخد عني فكرة وحشة.

أحمد: لا طبعًا قولي.

لمياء: يعني لو فيه حاجة مثلًا تخليني أدوخ وما احسش بحاجة علشان ما ارخمش عليك في اليوم دا.

أحمد: آه طبعًا فيه حاجات.

لمياء: بس اليوم دا بس وما نكررهاش تاني.

أحمد: طيب حاضر.

وفي يوم الزفاف احتفلت الأسرتان والأهل والأقارب، وكان حفل زفاف ضخم جدًّا، وانتهى الحفل وغادر المدعوون سعيدين بهذا الحفل الجميل، وغادر العروسان إلى مكان شقتهما وقاما بتبديل ملابسهما.

وسألت لمياء أحمد إن كان أحضر الشيء الذي طلبته منه، فقام بإخراج زجاجة خمر قائلًا (بصي دي أحسن حاجة تخليكِ تدخلي المود وتنسي الدنيا).

فجلسا يحتسيان الخمر طيلة الليل، ولم يشعرا بأنفسهم إلا في ظهر اليوم التالي وقالت لمياء (انا لو اعرف إن الجواز حلو كدا كنت اتجوزتك من زمان).

أحمد: وانا اللي ندمان إني ضعيت العمر دا كله من غيرك.

لمياء: ربنا يخليك ليَّ يا حبيبي.

أحمد: أنا مجهز لك مفاجأة.

لمياء: إيه يا حبيبي؟

أحمد: هنسافر أوروبا نقضي شهر العسل هناك، هاوديكِ كل أسبوع بلد شكل.

لمياء: الله، بجد؟!

أحمد: أيوة.

لمياء: أنا باحبك قوي، ربنا يخليك ليَّ.

وبالفعل سافر أحمد ولمياء إلى أوروبا لقضاء شهر العسل هناك، وعقب عودتهما قالت لمياء لزوجها (أحمد عايزة أقول لك حاجة).

أحمد: إيه يا حبيبتي؟

لمياء: أنا حامل.

أحمد: بجد، دا أحسن خبر سمعته في حياتي، وقام بالاتصال بوالده ووالدته واخبرهم بالخبر السعيد، وبعد أربعة أشهر من حمل لمياء اقترح عليها أحمد الذهاب للدكتور للاطمئنان على الطفل، ومعرفة نوعه إن

كان ذكرًا أو أنثى، ولكن لمياء رفضت قائلة (أنا ما باحبش أروح للدكاترة عمال على بطال، أنا كويسة الحمد لله وبعدين خليها مفاجأة).

ومرت ثلاثة أشهر أخر وأصبحت لمياء في شهرها السابع، وفي ليلة من الليالي قامت لمياء بالاتصال بزوجها قائلة: الحقني يا أحمد أنا باولد.

وعلى الفور قام أحمد بالعودة إلى المنزل ونقلها إلى المشفى في انتظار استقبال مولودهم الأول، وبالفعل وضعت لمياء مولودها الأول، وعندما سمع أحمد بكاءه أخذ يبكي هو الآخر، شعور مختلط ما بين الفرح والإحساس بالمسؤولية، وقامت جميلة بالدخول والاطمئنان على لمياء والطفل، وعندما شاهدت الطفل قالت:

جميلة: باسم الله ما شاء الله، زي القمر، سبحان الله كله أحمد ابني.

لمياء: حرام عليكِ يا طنط دا أحلى.

الدكتور: ألف مبروك يا جماعة، يتربى في عزكم، وقام الدكتور بالخروج من الغرفة فخرج خلفه صالح قائلًا: تاعبينك معانا يا دكتور.

الدكتور: لا ولا حاجة يا صالح بيه، نتعب لك في الأفراح دايمًا.

صالح: شوف سبحان الله أنا لسَّا فاكر ولادة أحمد زي ما يكون النهار دا ، شوف دلوقتي أحمد اتجوز وبقى أب وخلاني جد، أنا فاكر وانا

باروح أبص عليه كل يوم في الحضانة علشان كان عنده الصفرا، ألا صحيح يا دكتور الولد دا مش المفروض ندخله الحضانة؟

الدكتور: ليه يتحط في الحضانة؟ الولد سليم الحمد لله وما فيهوش حاجة زي الفل.

صالح: أصل أنا كنت سامع إن الولد اللي بينزل ابن 7 شهور بيتحط في الحضانة.

الدكتور: مين قال لك إن دا ابن 7 شهور؟ دا ابن 9 شهور عادي.

صالح: ابن تسعة ازاي يا دكتور؟ إذا كان الواد اتجوز من 7 شهور أصلًا.

الدكتور: يا صالح بيه أنا عارف أنا باقول إيه كويس، مستحيل دا يكون ابن 7 شهور، دا ابن تسعة وزيادة شوية كمان.

صالح: يعني إيه الكلام دا يا دكتور؟

الدكتور: يعني الأستاذ أحمد دخل عليها قبل الفرح؛ لأن الطفل مكمل 9 شهور في بطن أمه عادي.

صالح: الله يكسفك يا احمد، أنا متأسف يا دكتور، ويا ريت لو كنت غالي عندك تخليها بينْنَا...

وقام صالح بمناداة زوجته جميلة.

صالح: جميلة تعالي بسرعة أنا عايزك.

جميلة: خير يا صالح؟

صالح: تخيلي ابن الكلب دا دخل على البنت في فترة الخطوبة.

جميلة: إزاي الكلام دا! انت عرفت منين؟!

صالح: الدكتور قال إن الطفل اللي اتولد مكمل 9 شهور في بطن أمه، كسفني ابن الكلب قدام الدكتور، والمشكلة إن الدكتور دا صاحبي ويعرفني كويس، ربنا يستر بقى وما يقولش لحد.

جميلة: إزاي الولد دا يعمل كدا؟ وقامت بالنداء على أحمد.

جميلة: أحمد تعالى هنا.

أحمد: نعم يا ماما.

جميلة: ينفع اللي انت عملته دا؟! الله يكسفك زي ما كسفتنا.

أحمد: كسفتك ازاي مش فاهم؟

صالح: ما كنتش قادر تستنى لما تتجوزوا.

أحمد: أستنى إيه واتجوز مين؟ هو فيه إيه؟!

جميلة: أحمد الله يرضى عليك دا مش وقت استهبال.

صالح: انت دخلت على لمياء قبل الفرح؟

أحمد: هادخل عليها قبل الفرح ليه؟ وبعدين أنا كنت عارف أمسك إيديها أصلًا؟! أنا مش فاهم حاجة، ما تفهموني يا جماعة.

جميلة: يا نهار اسود، الحق يا صالح.

صالح: يا ابني الدكتور بيقول إن الولد المولود ابن تسعة مش ابن سبع شهور.

أحمد: انت بتقول إيه؟

واندفع أحمد تجاه الغرفة التي توجد بها زوجته وقام بدفع الباب قائلًا:

أحمد: آه يا حقيرة يا بنت الكلب، انتِ بتزني وعايزاني أشيل ابن الزنا بتاعك!

والدة لمياء: انت بتقول إيه يا حيوان انت؟ انت اللي حقير وابن كلب انت وأهلك، واحنا بنتنا أشرف من بلدك.

لمياء: دي غلطتي إني اتجوزت واحد زيك، فاكر الناس كلها شمال زيه، لو كنت راجل طلقني، أنا لا يمكن أعيش معاك لا أنا ولا ابنك بعد ما اتهمتني بالزنا.

أحمد: عايز اعرف الولد دا ابن مين ، الولد دا ابن مييييين؟

لمياء: الولد دا كان ابنك، بس من هنا ورايح ما لكش دعوة بيه.

أحمد: احنا نعمل تحليل **DNA** ونشوف دا ابني ولا لأ.

لمياء: مستحيل طبعًا، أنا وثقة من نفسي ومش هاعمل كدا.

والدة لمياء: إحنا موافقين نعمل التحليل علشان نقطع لسانكم دا بس بشرط، لو طلع الولد دا ابنك تطلق بنتي.

أحمد: وانا موافق.

وقاموا بأخذ عينات منهم لعمل تحليل الحامض النووي.

أحمد غادر إلى منزله وبداخله صراع، هل من الممكن أن يفعل هذا الملاك الطاهر مثل هذا الفعل الفاجر! وأخذ يتذكر ليلة زفافهم، ولكنه بالكاد يتذكر بعض التفاصيل، ثم توقف عن التفكير برهة وقال لنفسه (إيه دا! معقول تكون خلتني أجيب خمرة ونسكر علشان ما اخدش بالي إنها مش بنت!! لا لا مستحيل، دي بنت ناس، أكيد الدكتور دا غلطان أو فيه حاجة غلط، لا لا لمياء مستحيل تعمل كدا، طيب لما هيَّ بنت ناس إزاي وافقت إنها تشرب خمرة معايا! مش الخمرة دي حرام برضه؟ أوف أنا مش عارف أفكر، أنا بجد حاسس إني هاموت من التفكير).

ونظر أحمد إلى السماء وقال (يا رب ساعدني أنا عارف إني ماليش عين أطلب منك حاجة، ممكن يا رب تساعدني).

وجلس أحمد في غرفته لا يعرف النوم ولا النوم يعرفه.

وبعد مرور عدة أيام توجه أحمد إلى منزل زوجته وقال لها.

أحمد: أنا آسف يا لمياء تعالي نروح بيتنا.

لمياء: والله! بالسهولة دي؟

أحمد: الدكتور الحمار هو اللي خلاني أعمل اللي أنا عملته في المستشفى دا.

لمياء: ها وعملت التحليل؟

أحمد: تحليل إيه بس؟ انتِ أطهر واحدة أنا عرفتها في حياتي، أنا كنت مجنون لما فكرت فيكِ بالطريقة دي، وبعدين انتِ قُلتِ لو عملت التحليل طلقني، أنا ما عملتش التحليل من أساسه، بعد ما أخدوا العينات رُحت المعمل وقُلت لهم أنا مش عايز أعمل تحليل، بس حطي نفسك مكاني، دكتور يقول لك الواد ابن تسع شهور، واحنا متجوزين من سبع شهور، وبعدين اكتشفت إن الدكتور هو اللي مش فاهم، والناس كلها في المستشفي قالت لي كدا.

لمياء: علشان تعرف إن الدكتور متخلف.

أحمد: خلاص بقى سماح، لو مش علشان خاطري علشان خاطر ابننا اللي لسَّا بيفتح عينه على الدنيا.

لمياء: خلاص مسامحاك.

وقامت لمياء بتحضير حقيبة ملابسها وغادرا إلى منزلهما.

أحمد: غمضي عينك أنا عامل لك مفاجأة.

لمياء: صحيح يا أحمد؟

أحمد: أيوة غمضي عينك.

لمياء: أهو.

قام أحمد بإخراج قطعة من القماش فقامت زوجته بفتح عينها قائلة (إيه دا انت هتصالحني بطرحة؟).

فرد قائلًا: أيوة.

وقام بلف القماشة حول عنقها وقام بخنقها، وقامت لمياء بالتوسل إليه (أحمد سيبني أعيش الله يخليك).

أحمد: الأوساخ اللي زيك لازم يموتوا، واستمر في خنقها، إلى أن تأكد من توقف نبضها تمامًا وسقطت جثة هامدة، فذهب إلى الطفل وقام

بخنقه بيده حتى فارق الحياة، ووضع جثته بجوار جثة أمه وقام بإخراج ورقة بها نتيجة تحليل الحمض النووي، وقام بإلقائها فوق جثتهما، وعقب ذلك قام بإخراج هاتفه والاتصال بالشرطة، وقال لهم بإنه قام بقتل زوجته.

والذين أتوا على الفور وقاموا بإلقاء القبض عليه والتحفظ على مسرح الجريمة، وأثناء قيام الشرطة باقتياده إلى السيارة للتحفظ عليه أخذ أحمد يردد (ليه كدا يا رب؟ أنا عملت إيه علشان تعمل فيَّ كدا؟!).

فمرور فترة كبيرة من الوقت عما كان يفعله في الإسكندرية جعله ينسى، ولكنه نسي أيضًا أن الله لا ينسى، وأنه يمهل ولا يهمل، فتستطيع أن تفعل في الدنيا ما تشاء، ولكن لكل عمل جزاء، خلقت هذه الدنيا بميزان دقيق، فمثلما جعل لكل أجل كتاب جعل لكل عمل حساب، فلك حرية الاختيار في أفعالك ولكن لا تنسَ قول المولى (**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**).

قام صالح بالذهاب إلى أحد أكبر المحامين في محافظة القاهرة للدفاع عن نجله، وترجاه أن يحاول إنقاذه.

صالح: أبوس إيدك شوف لنا حل، الولد هيتعدم.

المحامي: ما تقلقش يا صالح بيه، إن شاء الله خير.

صالح: انت متوقع إيه طيب؟

المحامي: ما اكذبش عليك يا صالح بيه، هو موقفه صعب، بس كل اللي هنلعب عليه إنه يقول إنه ما كانش قاصد إنه يقتلها وعلى الله التساهيل.

وانصرف صالح من مكتب المحامي وفي اليوم التالي اصطحب زوجته لزيارة نجلهما، وقام صالح بالدخول إلى مأمور السجن للسماح لهم برؤية ولدهم، وأمر مأمور السجن أحد الأشخاص بإحضار المتهم..

وعند دخول أحمد على صالح وجميلة مرتديًا ملابس السجن البيضاء، دخلت جميلة في نوبة من البكاء.

جميلة باكية: لا حول ولا قوة إلا بالله، ليه عملت كدا يا أحمد؟

مأمور السجن: طيب يا صالح بيه هاسيبكو لوحدكو شوية وقام بالخروج من المكتب.

صالح: مش وقته الكلام دا يا جميلة دلوقتي.

أحمد: أمال كنتِ عايزاني أعمل إيه يعني يا ماما؟ أطبطب عليها واربي الواد ابن الحرام ابنها واصرف عليه من فلوسي ولا إيه مش فاهم؟

صالح: اسكت، وطي صوتك، أنا اتفقت أنا والمحامي إنك هتقول إنك ما كنتش تقصد إنك تقتلها.

أحمد: يا سلام، وهو القاضي هيصدق؟!

صالح: يا ابني اسمع اللي باقول لك عليه، انت هتعرف أكتر من المحامي؟! ما دام قال لك تقول كدا يبقى تقول كدا.

أحمد: حاضر.

جميلة: مش محتاج حاجة يا ابني أجيبها لك؟

أحمد: محتاج تدعي لي بس لما اموت.

جميلة: ما تقولش كدا بعد الشر عليك.

أحمد: أنا عارف إن القاضي هيحكم عليَّ بالإعدام، أنا عايزك يا بابا بس لما يحكموا عليَّ بالإعدام تشوف لي حد تخليهم يعدموني على طول، علشان انتظار الموت دا صعب قوي، لما تبقى عارف إنك خلاص هتموت وقاعد مستني، دا أوحش حاجة في الدنيا.

بدأت تنهمر دموع صالح على وجهه: ولم يعلق على الكلام.

وقام مأمور السجن بالدخول: ماعلش يا صالح بيه، لازم أحمد يرجع الحجز دلوقتي علشان عندنا تفتيش.

صالح: كتر خيرك يا باشا تعبناك معانا.

وقام صالح وزوجته بتوديع أحمد والانصراف إلى منزلهما.

مشهد محاكمة أحمد كان مشهدًا دراميًّا، قضية أحمد ضمن قضايا كثيرة في هذا اليوم، كل المتهمين ارتكبوا جرائم تشابه فيها ما تشابه واختلف فيها ما اختلف، ولكن جميعهم تشابهوا في شيء واحد، وهو البعد عن طريق الله.

فجزاء البعد عن طريق الله الهلاك لا محالة، مهما طال أو قصر الطريق، ومهما كان هذا الطريق مزينًا بالأضواء فلا بد أن يكون لك مع الله لقاء.

* * *

أحمد يقف داخل قفص المحكمة، وأمه تبكي وأبوه يبكي، وهما يعلمان أن موقف ابنهما صعب، وقد تكون أيامه معدودة في الدنيا، وليس لها من دون الله كاشفة.

وقالت جميلة في نفسها (ظللت خمس سنوات بدون أن أرزق بأطفال، ماذا لو رضيت ولم أسعَ للإنجاب؟ هل كنت سأنجب محمود

الذي تعذب في حياته واستشهد وحزينة على فراقه؟ هل كنت سأنجب أحمد الذي ظلم غيره وظلم نفسه وقد لا أراه مرة أخرى؟! يا ليتني لم أقدم على الحقن المجهري)..

بدأت الجلسة..

المحامي بدأ في الدفاع عن المتهم فقال (سيدي القاضي المتهم ما كانش عنده نية إنه يقتل زوجته، ولكن حصلت بينهم مشاجرة خلته يفقد شعوره ويحاول يأدبها ولكنه اتفاجئ إنها فارقت الحياة).

فقام القاضي بمقاطعة المحامي قائلًا: أحمد صالح فين؟

رد أحمد: أيوة يا افندم.

القاضي: انت قتلت مراتك؟

أحمد: أيوة يا افندم.

القاضي للمحامي: شكرًا يا أستاذ.

القاضي: بعد الاطلاع على القضية حيث إن المتهم قام باستدراج المجني عليها إلى منزل الزوجية، وقام بإزهاق روحها وطفلها عن طريق

خنقهما بقطعة قماش قام بتجهيزها مسبقًا، حيث توافرت للمتهم نية التخلص من المجني عليها وطفلها مع سبق الإصرار على ذلك.

فبناء عليه حكمت المحكمة حضوريًّا على المتهم أحمد صالح بالأشغال الشاقة المؤبدة.

رفعت الجلسة.

.

❋ ❋ ❋.